

حنطة

مستقلة شهرية

العدد ١٢ | ١٥ كانون الأول ٢٠١٣

صنطة | السنة الثانية

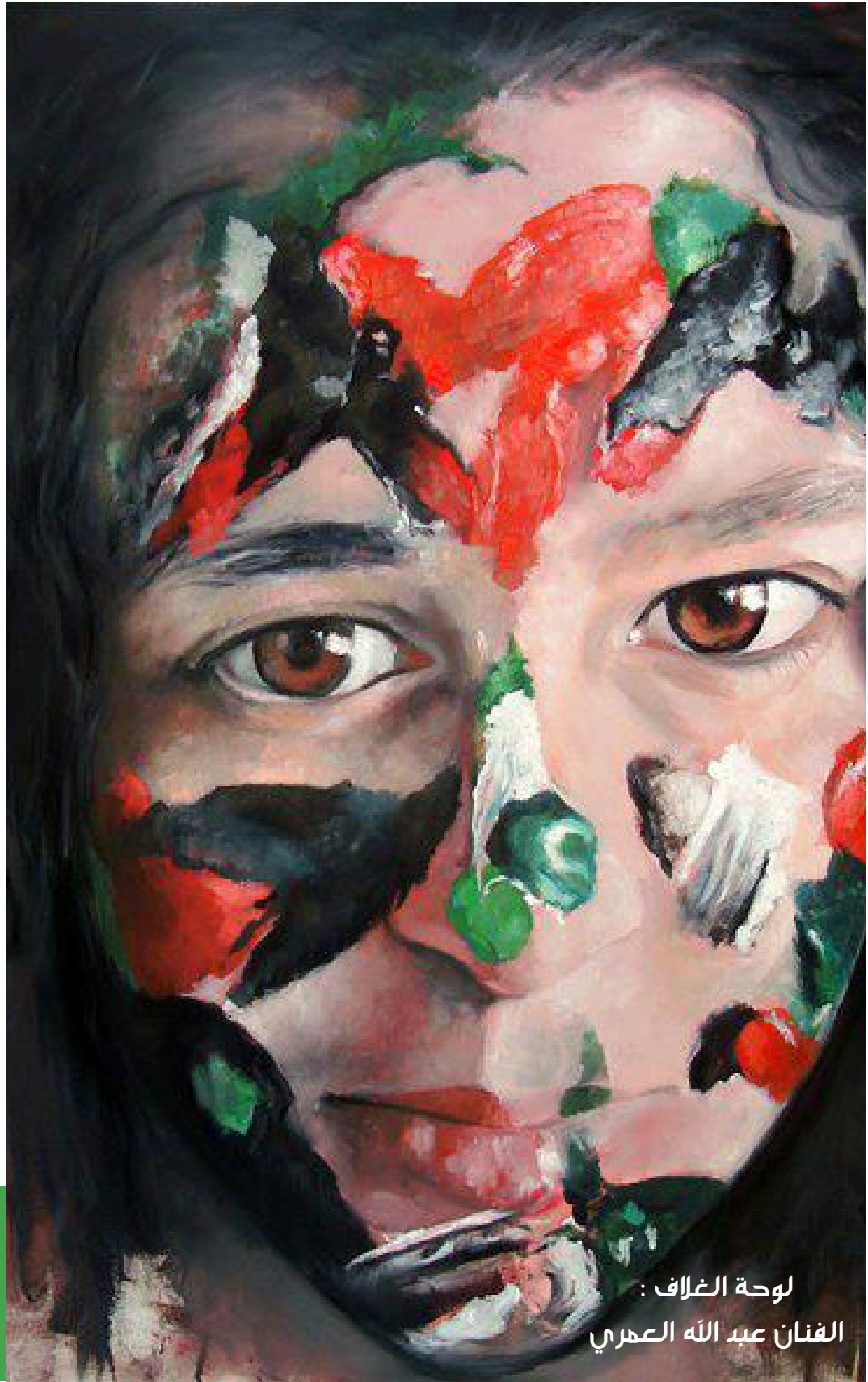
الغوصة الشرقية مأساة الحصار
وهيئات إغاثية بلا دعم ...
سمارة القوتلي
واقع التعليم في المنطقة
الشرقية ...
نوار خليفة

عبد الله غول: التطرف في
سورية يشكل خطراً متنامياً
ترجمة نور مارتيني

أطفال هاربون من العنف
يرسمون محنتهم ...
ترجمة مجد أحمد

أخيراً لت تهتز يدي ...
ناجي الجرف

عرائس الجولان بين عدسة
الواقع وعدسة السينما ...
علي سفر



إن الآراء الواردة في حنطة تعبر عن رأي
الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

www.hentah.com

لوحة الغلاف :
الفنان عبد الله العمري

الغوطة الشرقية

مأساة الحصار وهيئات إغاثية بلا دعم

استطلاع: سمارة القوتلي - ريف دمشق



رجل من دوما - عدسة رسل ارتس

من خارج سوريا إلى ريف دمشق في الوقت اللازم، أخبرنا بإرسالهم قافلة للدخول إلى ريف دمشق محملة بالمؤن الغذائية والأموال، وأنهم قاموا بتوجيه القافلة عبر طرق غير آمنة، بهدف التخفيف عن المحاصرين مهما كلف الأمر من خسائر، لكن قطاع طرق قاموا بنهب كل ما في القافلة، واحتطاف من كان موجوداً على متنها. ويقول مضيفاً: «أظن أن أمر القافلة والمخطوفين بات واضحاً للجميع، ولا أريد أن أضيع الوقت في شرحه، لكن ما أريد أن أؤكد أنه لم نعجز أو نياس، ولا زلنا حتى الآن نحاول ونحاول في إيصال كل ما يجب إيصاله». من جانبه أشار (سليم) إلى الوقت الطويل الذي يقضيه في إقناع المتبرعين والداعمين بضرورة تبرعهم للعائلات المسجلة لديهم، وعن حضوره اجتماعات ومؤتمرات يومية تكررنا ومراراً بهذا الخصوص. والجدير ذكره أن هيئة الشام للإغاثة، مازالت تمارس أعمالها بأبسط الإمكانيات رغم الظروف السيئة. وهي قامت في هذا الشهر بإعادة تنظيم سجلاتها والاستعانة بأشخاص آخرين باستطاعتهم المساعدة في تقديم العون للعائلات الموثقة لديهم. ربما يجد منسوق الهيئة حلاً جذرياً لتلك المشكلة. الكثير من العائلات المنكوبة والفقيرة المحتاجة للدعم بصورة ماسة، لكن القليل ممن يمد يد العون. وما زال هناك العديد من الأهالي ينتظرون لقمة تسد رمق أطفالهم، في الوقت نفسه الذي يُتلف فيه آلاف المتفرجين طعامهم في سلة القمامة، في كل مكان.

الأمر ليس بإرادتهم، فالداعمون لتلك الهيئة عجزوا عن إيصال المبالغ إلى ريف دمشق، ولم يتخذوا أي إجراءات أو حلول سريعة لمساعدتهم في الداخل. يعبر (أبو عمر) عن استيائه من الوضع الراهن الذي وصلوا إليه، قائلاً: «إن كل من نقوم بتوزيع مبالغ عليهم، فيهم المريض والفقير والمسن واليتيم، أن نقطع عنهم تلك المبالغ الشهرية، يعني أن نحرمهم من الأطعمة والدواء ولكن ما من حيلة. هذا ما وصلنا إليه». وفي معرض حديثه عن مشاكل الكفالات والمبالغ الممنوحة للعائلات منذ بداية تشكيل الهيئة، يقول (أبو عمر) إنهم قاموا بإنشاء خطين للتوزيع الإغاثي. الخط الأول، وهو الأهم، يوزع فيه للجرحي ومعاقبي الحرب بشكل رئيسي، والخط الآخر للفقراء والأيتام وأهالي المعتقلين، ما اضطرهم إلى تخصيص عائلات محتاجة بالعمارة في الأشهر التي ينقطع فيها المال، على حساب عائلات أقل احتياجاً. ويضيف: «قد يستغرب من يرى الجداول الخاصة بتوزيع الكفالات في هيئتنا، ففي سجلاتنا أكثر من ثلاثة آلاف أسرة منكوبة، في حين ليس باستطاعتنا أن نغطي أكثر من مئة وخمسين عائلة في أحسن الظروف». **قطاع طرق!**

وفي حديثه لحنطة، أبدى (سليم حجازي) منسق هيئة الشام الإغاثية، قلقاً لما وصل إليه حال الهيئة في الآونة الأخيرة. لدى سؤالنا عن سبب عجزهم في إيصال المال

سنة أشهر متواصلة على حملة التجميع والغوطة الشرقية تعاني الأهات والويلات. لا دواء، لا طعام، لا وقود ولا شيء، تتراكم الأزمات فوق رؤوس المحاصرين وأحدة تلو الأخرى، والحل مبهم لا سبيل إليه، و الروايات كثيرة عن معارك الجيش الحر الأخيرة في (العتيبة)، مع ذلك فالحال واحد حتى الآن. وبينما يتجاوز عدد المنكوبين مليوني نسمة في الغوطة الشرقية، تعتمد العديد من الهيئات والمنظمات الإغاثية المتواجدة في ريف دمشق إلى تخفيف أزمة الحصار، بما توفر من مبالغ بسيطة وقليل من الطعام والسيارات. وقد يرى بعض النشطاء في مسألة تعدد الجمعيات الإغاثية داخل المدينة الواحدة أمراً يستدعي القلق، وربما يكون كفيلاً بخلق نزاعات بين جمعية وأخرى، وربما يكون سبباً في عدم تنظيم الخط الإغاثي في بعض الأحيان، وهناك نشطاء آخرون يرون في مسألة تعدد الجمعيات الإغاثية أمراً إيجابياً يدفع الجمعيات والعاملين بها للتنافس فيما بينهم والعمل بحماسة أكبر، وبالتالي سيكون له التأثير الجيد على الفقراء والمحتاجين. **هيئة إغاثية بلا مغيث!**

في هذا السياق، بذلت هيئة الشام للإغاثة والتنمية مساعي بارزة لتخفيف معاناة الأهالي في ريف دمشق، حيث قامت بادئ الأمر بتوزيع كفالات شهرية تمثل بمبلغ مالي بسيط يقارب ٥٠٠٠ ليرة سورية، إضافة لنشاطات أخرى كتوزيع الثياب على الناس قبل حلول الشتاء، وتوزيع الألعاب للأطفال في أيام العيد. يوضح (أبو عمر)، وهو عضو في هيئة الشام الإغاثية، من مدينة شعا في ريف دمشق معاناته ومعاناة الكثير من العاملين في المؤسسات الإغاثية، فالأزمة الإغاثية موجودة برأيه منذ أشهر طويلة، أي قبل الحصار الدائر الآن، لأسباب كثيرة أهمها أن المبالغ التي في متناول معظم الهيئات، هي في غالب الأحيان لا تكفي هذا العدد الكبير من الناس، إضافة إلى غلاء الأسعار الباهظ، الذي يجعل كل عائلة موجودة في ريف دمشق بحاجة لأضعاف هذا المبلغ الممنوح.

غير أنه ومع انقطاع الطريق واشتداد الحصار، اضطر (أبو عمر) ورفاقه العاملين في الهيئة إلى حرمان الناس من المبالغ الشهرية المقدمة إليهم ثلاثة أشهر متواصلة وفق ما يقول، ويقول إن هذا

«أهل الأثر»، وملفات مفتوحة..

تحقيق: خليل سليمان، يسر الخضر



خاص حنطة - سوق أهل الأثر الخيري - تل أبيب

عملها، شاكرًا من يعملون فيها على جهودهم وخدماتهم للنازحين والفقراء وأبناء الشهداء. وقال: «يحمل فريق هذه الجمعية على عاتقه مشروعاً نبيلاً، وأعماله تشهد له». وعن ثقة الداعمين بفريق العمل وحقيقة النتائج على أرض الواقع، وضح لنا مسؤول الجمعية في فرع الرقة؛ بأن الثقة كانت نتيجةً للعمل الذي تم إنجازه، فأغلب الداعمين تابعوا طوال الوقت وعلى أرض الواقع سير العمل، زاروا المدارس والتقوا بالناس، وراقبوا كل التفاصيل، ومع ذلك هناك الكثير من المشاريع التي لم تتلق الدعم لأنها لم تكن على قائمة أولويات الداعمين -حسب تعبيرهم هم-. بالطبع تواجه الجمعية كغيرها مجموعةً من الصعوبات، منها عدم وجود قاعدة بياناتٍ كاملةٍ للنازحين والفقراء والأيتام، وذوي الاحتياجات الخاصة. غير أنهم وبالتعاون مع المجلس المحلي والجمعيات الخيرية الأخرى، يعملون على توحيد قاعدة البيانات وتجهيزها، لتشمل كافة شرائح المجتمع التي تحتاج إلى مساعدة. نهايةً وحول موضوع الداعمين أوضح لنا: «الجهات الداعمة عبارة عن أفرادٍ من أهل الخير، وأحياناً أخرى جمعياتٍ خيرية تعمل على جمع التبرعات في بلادها، ومن ثم ترسلها إلى الجمعية، دولة الكويت والمملكة العربية السعودية في مقدمة الدول التي تدعم مشاريع و جمعيات كهذه».

المدارس التي يوجدون فيها، وكذلك على المنازل ودور الإيواء، ويتم توزيع المواد التي يحتاجون إليها من خلال البيانات الشخصية. أما بالنسبة للمؤسسات والمنظمات المدنية الأخرى، وطبيعة تعاون الجمعية معها، فقد قال: «ليست لدينا أية مشكلة في التعاون مع أية منظمة أو جمعية، هناك تنسيقٌ مع المجلس المحلي في مدينة تل أبيب، وأيضاً جمعية المشكاة، والهلال الأحمر السوري». وعن المشروع المستقبلي للجمعية، وما تطمح إليه في رؤيتها للعمل، شرح المسؤول لنا بأنهم يحاولون جاهدين العمل على تأمين أطرافٍ صناعيةٍ لذوي الإعاقة الدائمة، وكذلك افتتاح مؤسسةٍ استهلاكية لبيع المواد الغذائية والتموينية بسعر التكلفة للمواطنين، كما يتم السعي لتأمين بطانياتٍ وإسفنجاتٍ تحسباً لأي وافرٍ من المحافظات الأخرى. سألناه هل توثق (جمعية أهل الأثر الخيرية) أعمالها، وهل هناك صور يمكن الرجوع إليها، فقال إنه في حين يكون هم الكثير من الجمعيات والمنظمات نشر وبث أعمالها مصورةً، لإشهار عملها والدعاية لها، تهتم جمعية أهل الأثر بهذا الجانب -حسب قوله- للتوثيق فقط، وحض الداعمين على التبرع، بالإضافة إلى نقل الواقع كما هو. وعند سؤالنا أحد النازحين في محيط مدينة الرقة عن جمعية أهل الأثر قال: «ليس بوسعي إلا أن أشكرهم، الحمد لله أنه ما زال هناك أناسٌ يحاولون فعل الخير ويقدمون المساعدة الحقيقية». أما رئيس المجلس المحلي في المدينة فقد أكد على السمعة الطيبة للجمعية ونزاهة وشفافية

تأسست جمعية أهل الأثر الخيرية في لبنان بمدينة عنجر، والمركز الرئيسي لها في تركيا في مدينة الرجانية، ولها فروع عدّة في بقية المحافظات السورية والريف. بدأ عملها بتقديم خدماتٍ للنازحين خارج سوريا، ثم بدأ فعلياً في محافظة الرقة بعد تحرير مدينة تل أبيب الحدودية. يقول مسؤول فرع (جمعية أهل الأثر الخيرية) في مدينة الرقة، والمسمى (مركز الفرات): «طبيعة عمل الجمعية خيري، إنساني، اجتماعي، علمي. لهذه الجمعية توجهاتٌ دينيةٌ بغرض التوعية، يتم تطبيق هذه التوجهات من خلال نشر الوعي الإسلامي الحقيقي بين الناس، ومحاربة كل فكرٍ أو تصرفٍ أو توجهٍ يسيء للإسلام». سألنا المسؤول الذي رفض ذكر اسمه، عن الكلام حول علاقة الجمعية بالجانب العسكري من الأزمة السورية. قال: «نعم لدينا كتيبةٌ إسلاميةٌ باسم (جمعية أهل الأثر)، التابعة لـ (جبهة الأصاله والتنمية)، وهناك أيضاً تنسيقٌ مع (كتائب حذيفة بن اليمان)، كما أننا لم نواجه أية عقباتٍ في عملنا مع الجهات المسلحة الأخرى بخصوص توزيع المواد الإغاثية، بل بالعكس، استطاعت الجمعية تقديم الكثير من الخدمات للمجاهدين». حرص المسؤول الذي التقيناه، أيضاً، على التأكيد بأن جمعية أهل الأثر تقدم خدماتٍ إغاثية ودعوية، ويتوقف الدعم بحسب التبرعات الخارجية من قبل أصحاب الخير. أما عن أعمالها على مدى العامين الماضيين، فقد وضح المسؤول عن فرع الرقة فيها، قائلاً: «منذ تحرير تل أبيب قامت الجمعية بعدة أعمالٍ، نذكر منها توزيع بطانياتٍ على النازحين، ويقدر العدد بـ ٥٠٠٠ بطانية، بالإضافة إلى مبالغ نقديةٍ للأسر النازحة، حوالي ٧٠٠٠ ليرة سورية لكل أسرة، وتوزيع لباس شتويٍّ وصيفيٍّ، وسلل غذائيةٍ للنازحين وقرءاء المنطقة، وكذلك كراسٍ للمعاقين. كما قامت بفتح فرجٍ لتوزيع الخبز بالجمان في الرقة لحوالي ٧٠٠٠ شخص، ضمن حملة (جهادنا رغيفنا)، وأيضاً استقدمت مطحنةً لمدينة تل أبيب لطحن القمح بالجمان. من أعمال الجمعية الأخرى رعاية الأيتام وأبناء الشهداء، حيث تقدم لهم مرتباً شهرياً بمقدار ٥٠ دولاراً، كذلك افتتحت الجمعية سوقاً لبيع الخضار والفواكه بسعر التكلفة، لمراعاة وضع المواطن، باسم (سوق جمعية أهل الأثر الخيرية). كما استطاعت الجمعية الوصول إلى النازحين، من خلال الجولات الميدانية على

الطلاب السوريون في غازي عينتاب الطريق الطويل إلى الجامعة

نوار خليفة

نظرة عامة على المشكلة

يواجه الطلاب الأجانب دائماً مشاكل تخص التسجيل والتأقلم، وعادة ما تكون هذه المشكلات من نوع واحد، ولكن مشاكل الطلاب السوريين في تركيا، هي، على ما يبدو، من نوع آخر.

«في البداية كان الأمر مقتصرًا فقط على صعوبات اللغة والعوامل المادية، لكن الآن انقلبت الحال بصورة كارثية». يقول أحد الطلاب.

كان الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، قد عين لجنة مسؤولة عن المسائل التعليمية، تحت مسمى (الهيئة الوطنية للتربية والتعليم العالي)، بدأت أعمالها منذ ثلاثة أشهر تقريباً. كانت هذه اللجنة أول وكيل عن امتحانات الثانوية العامة في المناطق المحررة وبلدان الجوار، أما بنسبة للطلاب الذين نجحوا فأعدادهم حوالي ٦٠٠٠ طالب، تسعى اللجنة المعنية والفعاليات السورية الأخرى في المناطق المحررة والدول المجاورة، إلى بحث إمكانية استمرارهم في التعليم. وباعتبار تركيا من أوائل الدول التي رحبت باستقبال الطلاب السوريين في جامعاتها، أجرت (الهيئة الوطنية للتربية والتعليم العالي) محادثات مع الحكومة التركية ومع وزارة التربية بشكل خاص، ليتم الوصول إلى جملة اتفاقات، كان من جملتها قبول الحكومة التركية الشهادة الثانوية التي منحها الائتلاف، ليبقى موضوع قبول الطلاب في الجامعات غير محسوم بعد. وحاول الائتلاف الحصول على استثناءات من الجامعات، باعتبار المدة الزمنية للقبول والتسجيل انتهت، لضمان أن يطمئن الطالب -على الأقل- أنه قُبل في العام القادم، فيتمكن من تحضير شهادة اللغة التركية. وما يتم السعي إليه الآن بشكل مكثف، هو جمع أسماء الطلاب الراغبين بمتابعة الدراسة في الجامعات التركية.

الطريق الصعب إلى الجامعة

ما يأمله الطلاب السوريون اليوم من وزارة التربية، أن توليهم العناية، وأن تقبلهم بشكل شرطي، على أن يتموا دراسة اللغة التركية لنيل شهادة اللغة التي تخولهم دخول الجامعات التركية في العام القادم.

في مسائل التسجيل الجامعي، لاحظ الطلاب الذين قابلناهم، أن الحكومة التركية أبدت تساهلاً بالغاً. أما في النتائج فكانت صارمة قليلاً، وكان في الأمر -برأي طلاب- غياب لمعايير العدالة في اختيار المقبولين.



خاص حنطة - بوابة جامعة غازي عينتاب

فأولاً، فئات أصحاب المعارف والمتنفذين وأصحاب رؤوس الأموال، كانوا على رأس المقبولين كل مرة. «يا لها من صدفة أن جميع أولاد التجار والأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال في غازي عينتاب، قبلوا في جامعتها دون سواهم من الطلاب المتقدمين»، يقول أحد الطلاب الذين لم يتسن لهم دخول الجامعة.

ثانياً، فئات الراشدين والمتفيعين بالرشوة. في الفترة الأولى لم نكن نعلم بوجود مثل هذه التصرفات في تركيا، لكن بعد ذلك، وجدنا عدداً هائلاً ممن دخلوا الجامعة بمبالغ مالية، منها مبلغ طائلة ومنها متوسطة، ومنهم من دفع -حسب طلاب في معرض شكواهم- مبلغ ٦٠,٠٠٠ ليرة تركية، بعد فوات أوان التسجيل بمدة عشرة أيام تقريباً. وهذا المبلغ يشمل كل رسوم السنوات الأربع الجامعية (طبعاً يوجد الآن إعفاء عن الدفع).

ثالثاً، وهم الفئة الأقل: الذين دخلوا الجامعة بمحض الصفة تقريباً! روى سوريون يشكون من مخنة التسجيل الجامعي في عينتاب، قصة أخرى عن طالب وأخيه، سجلا في الجامعة، فقبلت الجامعة الأخ الأصغر، الذي لم يكن مسجلاً في جامعة أخرى من قبل، بينما لم يقبل الأخ الجامعي أصلاً، لإتمام دراسته في السنة الثالثة بكلية هندسة العمارة، والذي يتمتع بخبرات عملية وأكاديمية لا يملكها أخوه.

يأتي على رأس معايير العدالة التي يطالب الطلاب بالأخذ بها للتعاطي مع طلباتهم لدخول الجامعات التركية، العمر، والنسبة المئوية للعلامة النهائية للشهادة الثانوية، أو المعدل الوسطي لعلامات

السنوات الدراسية إذا كان الطالب مسجلاً في جامعة أخرى قبل القدوم إلى تركيا. الطلاب المقبولون، أيضاً.. علاوة على ما سلف، للطلاب المقبولين أيضاً معوقات تمنع انخراطهم في النشاط الجامعي بشكل كامل، فإلى الآن لم تُمنح لأحد بطاقة الطالب، التي تحل له الكثير من الصعوبات، كاستخراج الإقامة، وفتح حساب بنكي، والتسهيلات الأخرى الكثيرة التي تتيحها بطاقة الطالب في أي مكان (الحصول على وجبات بتكلفة مخفضة في مطعم الجامعة، الحصول على تخفيضات المواصلات..)، ويشكو طلاب من المشاكل اليومية التي تواجههم عند بوابة الجامعة بسبب عدم امتلاك البطاقة إياها.

مما يشكو منه الطلاب السوريون أيضاً، المعاملة السيئة من قبل موظفي (شؤون الطلبة الدوليين) في جامعة غازي عينتاب. «نحن نقدر الضغوطات التي يتعرضون لها، لكن هذا عملهم في النهاية، إذا لم يستطيعوا تحمل مسؤوليتهم فهناك الكثيرون ممن يتمنون عملهم» يقول طالب سوري شارحاً معاناته.

التعليمات الضرورية، والأمور المهمة، لا تشرح للطلاب السوريين أبداً، إلى أن يقع الطالب في مشكلة أكبر، ويحاسب على جهله!.

في الصفوف الدراسية، يتكلم المدرسون اللغة التركية، وإذا ما طلب منهم التكلم باللغة الإنكليزية، فسيفرّون ما كتب في المنهاج، لا أكثر.

آمال تنتظر الدعم

يطمح الطلاب السوريون في مدينة غازي عنتاب، إلى قيام اتحاد طلبة يتحدث باسمهم، يكون معترفاً به من الحكومة التركية، يضمن للطلاب حقوقه، ويساعده على مواجهة الصعوبات، والعمل على تذليلها، ليكون متاحاً للطلاب السوريين إكمال مسيرتهم التعليمية، والحصول على تعليم جيد، بعد أن تم تدمير أساسيات الحياة في بلادهم، فما بالك بالجامعات وصرح التعليم.

بينما يقدر عدد الطلاب المقبولين بـ ٢٥٠ طالباً، علماً بأن جامعة غازي عنتاب التركية قد أتاحت للطلاب السوري -نظرياً- جميع الفروع، منها الطب والهندسات والمعاهد، ولكن نسبة الطلاب السوريين تتركز غالباً في كليات الهندسات.

حدثنا (عمر)، أحد الطلاب السوريين في جامعة غازي عنتاب، أنه واجه في بداية تسجيله بعض المشاكل، منها صعوبة التعامل مع الموظفين (لكون اللغة الوحيدة للتواصل هي التركية)، التي لا يجيدها معظم الطلاب العرب، والسوريين خصوصاً، وعدم وجود أي لوحات إرشادية توجه إلى كيفية التعامل مع التعقيدات الإدارية لعملية التسجيل.

في الاختبارات الشهرية، لا يعلم الطالب السوري، غالباً، ما هو الاختبار، ومتى يكون، لأن كل شيء يشرح ويكتب باللغة التركية، ومجرد الكلام في الأمر، سيسبب للطلاب مشكلة أكبر. يروي طالب ما حدث حين تناقش مع مدرّسة في صفه، عن مسألة اللغة، وطلب الكلام بالإنكليزية، ليتمكن من التواصل شأنه شأن باقي الطلاب، وقال إن هذا صف اللغة الانكليزية، وحسب المتعارف في كل الجامعات، على صفوف اللغة الإنكليزية أن تدرّس باللغة الإنكليزية، لتزد المدرّسة: «لهذا السبب كنت أكره السوريين، والآن أكرههم أكثر»!

عدد الطلاب السوريين المتقدمين في جامعة غازي عنتاب لهذا العام، يقارب ٨٠٠ طالب،

واقع التعليم في المنطقة الشرقية ن.خ



مدرسة سورية في المناطق المحررة - عدسة يسر الخضضر

البوكمال مدينة كغيرها من المدن السورية، ثار أبنائها ضد النظام مطالبين بإسقاطه، في مرحلة مبكرة من عمر الثورة.

تعد البوكمال منطقة حدودية مع الجمهورية العراقية، وهي آخر نقطة يقطعها نهر الفرات في الأراضي السورية.

بعد إعلان مدينة البوكمال مدينة منكوبة، بتاريخ ١٩-٧-٢٠١٢، لا زالت المدارس مهجورة، وذلك بسبب خوف الأهالي من أن يتم قصف المدارس، التي هي بالأساس تعرضت للعدوان، حيث طالها القصف بالطيران الحربي، فأصبحت أغلب مدارس المدينة غير مهيئة للتعليم، على سبيل المثال (مدرسة الأمين)، و(مدرسة حطين).

ها هي المدارس اليوم، إذن خالية ومغلقة على مصراعيها، فقبل قصف الطيران كانت المدارس تستخدم ثكنات عسكرية للشبيحة، أو مراكز اعتقال وتعذيب، وبعد القصف الذي تعرضت إليه أصبحت خالية من المعدات الدراسية، علماً بأن مدينة البوكمال، تحتوي على طاقم من ما يقارب ١٥٠٠ بين معلم ومعلمة.

معظم كتائب الجيش الحر، هي أيضاً تتخذ مدارس (الميادين) مقرات لها، فيؤدي ذلك إلى نسيان المدرسة بشكل كامل من الأهالي، أو من كادر التعليم، وتقوم الهيئة الشرعية في أيامنا هذه بتطبيق برنامجها المنهج، حيث تمنح الطالبات من الخروج للمدراس قبل ارتدائهن اللباس الإسلامي الساتر للباس المدارس المعتاد.

معظم كوادرات التدريس، يصرون على أن تعليم الطلاب أمانة في أعناقهم، لذلك، وبعيداً عن كل الاعتبارات، قسمت بعض المدارس بين صفوف للتعليم، وسكن للأهالي المهتمة منازلهم

نحاية العام، مكان لعلامة اللغة الكردية.

واقع المدارس في المناطق الكردية ليس بعيداً عن غيرها، فتغيب الخدمات أيضاً من كهرباء وتدفئة، ومن كوادرات المدرسين، بسبب هجرتهم خارج القطر، كما لم توزع الكتب المدرسية على كافة الطلبة، ولا يوجد لباس موحد للمدارس.

أو النازحين من محافظات أخرى.

يحدثنا الأستاذ (محمد) من سكان الميادين، بأنه لا توجد كتب مدرسية ولا تدفئة، ويتحدث عن انقطاع معظم رواتب المدرسين، ومعظم المدارس غير مخدمة جيداً، ومعرضة لاستهداف طيران النظام.

يقول أحد المعلمين إنه يقدر وضع الطالب والأحوال الصعبة التي تمر بها البلاد، من غلاء في أسعار القرطاسية، ومن نقص في الكتب، لذلك لا يكتر من الوظائف المنزلية للطلاب، ويختم قائلاً: «نرجو لفت النظر إلى أحوال المنطقة الشرقية بشكل أكبر، لمنح جيل المستقبل فرصة لنيل تعليم جيد، نرجو من الجهات المعنية الأخذ بكافة الإجراءات لتوفير مستلزمات البدء بعام دراسي قادم يكون فيه وضع التعليم أفضل مما هو عليه الآن».

وفي مدينة القامشلي، ونتيجة لدخول اللغة الكردية إلى المدارس التي تسكنها الغالبية الكردية، هددت مديرية التربية هناك، بفصل أي معلم يقوم بممارسة دوامه في مدرسة تعطي دروسها باللغة الكردية، واعتبار الطلاب راسبين، ولكن بعد زمن قصير ظهر قرار رسمي، نص على تعليم اللغة الكردية بداية الأمر لثلاث حصص في الأسبوع، ليبدأ المدرسون بتعليم الأرقام والأحرف ضمن المنهاج المخصص للطلبة. في بداية الأمر لم تلق اللغة الكردية أكثر اهتماماً خصوصاً من الطلاب، ولكن مع الأيام أصبح في حسابان شهادة الطالب في

حوار موسع مع رئيس اتحاد اللجان الثورية في مدينة بنش (صلاح قطران)

أجرى الحوار: المكتب الإعلامي في تسيقية مدينة بنش

متى نشأ اتحاد اللجان الثورية، وكيف تمت الدعوة له؟ وهل تمت دعوة جميع المكونات والتنظيمات الثورية في مدينة بنش؟ وهل حصل ورفضت تشكيلات الانضمام؟



أحد جدران مدينة بنش - عدسة جمال حسون

بحت، وهو ليس قيادي التركيب، كما ليس سياسياً، بل يقوم عليه أشخاص محبوبون بين الناس، متفانون في العمل قدر المستطاع، انطلاقاً من الواجب الديني ثم الوطني.

هل هناك أعداء للاتحاد، أو هل توجد خلافات مع تنظيمات ثورية أخرى؟

عدو الإنسان الجهل، فالاتحاد يعمل لخدمة جميع الأهالي في هذا البلد.

هل يتقاضى أعضاء اتحاد اللجان الثورية رواتب؟ وكما يقدر راتب الشخص الواحد؟

منذ أن شكل الاتحاد للآن، لم يتقاض أي فرد أو لجنة فيه أي راتب، وفي الآونة الأخيرة ناقشنا فكرة إيجاد داعمين، وإلى الآن لا يوجد داعم، والعمل في الاتحاد طوعي اختياري.

ما هي مصادر تمويل اتحاد اللجان الثورية، وهل هناك إملاءات كمقابل لهذا الدعم؟

اتحاد اللجان الثورية يخدم نفسه بنفسه، ولا يوجد مصدر تمويل للاتحاد، إلا من قبل الإخوة المغتربين من أبناء مدينة بنش، الذين يقدمون معونات إغاثية ومعونات طبية.

ما هي آلية صرف الأموال التي تصب في صندوق الاتحاد؟

أجمع أعضاء الاتحاد خلال جلسة خاصة بهذا الأمر، على صرف الأموال فيما يتعلق بالمسائل الخدمية والمصلحة العامة، كإصلاح وصيانة الآليات، والأدوات الضرورية للمؤسسات الخدمية كالمياه والكهرباء، وشراء وقود عربات لهذه المؤسسات لتخدم المدينة، وغيرها.

ماذا يعني لكم علم الثورة (علم الاستقلال)؟

-علم الاستقلال يجمع تحته كل الرايات، ولا نخفي أننا نرى أن علم الاستقلال ينبغي أن يكون تحت راية لا إله إلا الله، فألوانه استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام، جميعاً، فكان من راياته الأبيض والأسود والأصفر والمخطط..

يقدم لنا دراسة عن لجنته وعدد الأعضاء وبرنامجهم، وإن كان هناك ارتباط بأحداث خارجية فليبين ذلك. نحن نحاول أن نتوخى الشفافية في أي دراسة مقدمة. وتم لاحقاً إنشاء نواة مكتب هندسي من أجل الإشراف ومراقبة سير العمل، ودراسة وضع المنازل المدمرة، وأيضاً نواة لمكتب المدرسين، وتم تفعيل عمل المكتب الهندسي، عندما حدث دمار كبير في المدينة جراء قصف قوات النظام.

ما هي الإنجازات التي حققها اتحاد اللجان الثورية منذ نشأته وإلى الآن؟

في ظل حرب النظام على المدنيين، قُطع المدد عن المؤسسات الخدمية، مثل مؤسسة الكهرباء ومؤسسة المياه والبلدية والهاتف، وهذه المؤسسات من المفترض أن تُخدم من قبل النظام، ولكن ما حصل أنه تم قطع المساعدات عن هذه المؤسسات، حتى أصبح هناك مصاعب تواجه هذه المؤسسات في قدرتها على خدمة المدينة، فتم التواصل معها من قبل اتحاد اللجان الثورية، ولم يتم إظهار هذا الأمر إلى العلن بسبب القدرة المحدودة، فنحن لا نستطيع شراء آليات لهذه المؤسسات، لكن نستطيع دعمهم في صيانة آلياتهم وعددهم، فهذه هي إمكانياتنا، ولجان الاتحاد هي بالأصل فاعلة، فالمكتب الإعلامي غطى الكثير مما حصل على الأرض من قصف على المدينة ودمار، وتدبير الإسعاف ونقل الجرحى، وحرص على نقل الصورة الحقيقية لوحشية النظام تجاه المدينة، كما لدينا أيضاً اللجنة الخيرية الأهلية، وتواصلها مع الجهات الإغاثية لتقدم معونات لأبناء المدينة، والكادر الطبي، وتغطية المعارك، كما قام تجمع الطلبة بإظهار الأحداث للناس. الكل قدم حسب استطاعته.

اتحاد اللجان الثورية وصفته بالفاعل.. هل يعني هذا أن التنظيمات الأخرى بنظركم ليست كذلك؟

لا. اتحاد اللجان الثورية إنساني إغاثي خدمي ليست تنظيمات، بل هي لجان ومنها: اللجنة الخيرية الأهلية وهي عضو مؤسس في الاتحاد- الكادر الطبي (المشفى الميداني)- المكتب الإعلامي- تجمع الطلبة- اللجان الإغاثية والإنسانية والخدمية (في جبهة النصر)- اللجان الإغاثية والإنسانية والخدمية (في حركة أحرار الشام الإسلامية). وجميع هذه اللجان فاعلة، والمشاركة في الجانب المدني من العمل. من قبل جبهة النصر وحركة أحرار الشام الإسلامية، لم يكن مشروطاً أو تخلفه فرض للإملاءات، وهناك نظام داخلي وُضع للاتحاد، وليس حكراً على أحد، فهو يرحب بالجميع، وخيار الانضمام مفتوح للجميع، فمن يشاء فليطلع على النظام الداخلي، فإن ناسبه ذلك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: نشأ اتحاد اللجان الثورية في مدينة بنش بتاريخ ١٢-١٢-٢٠١٢، وأعلن عن انطلاقه في ذلك التاريخ، ولكن فكرة الاتحاد كانت متبلورة لدينا قبل أسابيع من تاريخ نشأته، وتمت دعوة عدة لجان للانضمام لاتحاد اللجان الثورية، وعقد أول اجتماع في ظل أوضاع متوترة، حيث كان القصف لا يهدأ على المدينة، وتمت الدعوة بشكل سري، ولم يعلن عن مكان الاجتماع إلا قبل نصف ساعة، وكان عدد الأشخاص المجتمعين ما يقارب ١١٥ شخصاً، وكان المجتمعون يمثلون جميع المؤسسات الخدمية في المدينة، والدعوة لم تكن للتنظيمات بل كانت للجان الثورية الفاعلة الخدمية بعيداً عن العسكرية، حيث تمت، على سبيل المثال، دعوة مؤسسة الكهرباء والمياه، واللجان التي تعمل في المجال الإنساني والإغاثي والخدمي. بهذا يمكن اعتبار الاتحاد إغاثياً إنسانياً خدمياً، ونخص بالذكر اللجان التي شكلت نواة العمل، كالمكتب الإعلامي في مدينة بنش، تجمع طلبة مدينة بنش، اللجنة الخيرية الأهلية، الكادر الطبي..، أما عن دعوة تنظيمات ورفضها الانضمام، فنحن -عندما بدأت الفكرة- وضعنا شروطاً للجان التي ستتنضم للاتحاد لاحقاً، إذ ينبغي للجان المنضوية، أن تكون فاعلة، ولا يكفي طرح اسم أو شعار، كما قد يكون التشكيل المعني فاعلاً لكن غير محبوب بين الناس، فكلنا نريد لجاناً فاعلة وقادرة على التأثير.

ما هي التنظيمات التي تنضوي تحت مظلة اتحاد اللجان الثورية؟

ليست تنظيمات، بل هي لجان ومنها: اللجنة الخيرية الأهلية وهي عضو مؤسس في الاتحاد- الكادر الطبي (المشفى الميداني)- المكتب الإعلامي- تجمع الطلبة- اللجان الإغاثية والإنسانية والخدمية (في جبهة النصر)- اللجان الإغاثية والإنسانية والخدمية (في حركة أحرار الشام الإسلامية). وجميع هذه اللجان فاعلة، والمشاركة في الجانب المدني من العمل. من قبل جبهة النصر وحركة أحرار الشام الإسلامية، لم يكن مشروطاً أو تخلفه فرض للإملاءات، وهناك نظام داخلي وُضع للاتحاد، وليس حكراً على أحد، فهو يرحب بالجميع، وخيار الانضمام مفتوح للجميع، فمن يشاء فليطلع على النظام الداخلي، فإن ناسبه ذلك

هل تعترفون بالائتلاف الوطني؟

قولاً واحداً لا نعترف بالائتلاف الوطني، ولا يمثلنا، وقلناها سابقاً وأعلنها، الائتلاف لا يمثلنا، بينما كان الشعب يعاني الجوع والحرمان كان الائتلاف في الخارج يتنعم في سلام وأمان. ما مدى صحة الأقاويل التي تقول إنكم حصلتم من الائتلاف على مبلغ يقدر بـ ١٦٠٠٠ دولار؟

تلقينا اتصالاً من تركيا، أعلمنا من خلاله أنه يوجد مبلغ يخص أهالي مدينة بنش، فأصبحنا أمام مسؤولية، والاتحاد يرفع شعار «لسنا مناعين للخير، ولكن بدون أجندة خارجية»، فقررنا في جلسة خاصة بهذا الموضوع، دراسة الوضع، وأتينا لن نقبل به إلا بعد أن نتأكد من مراعاة المصلحة العامة، وعدم وجود شروط، وكان المبلغ موجوداً في مكتب الـ (ACU)، وحدة تنسيق الدعم التابعة للائتلاف، فهو يستقبل الدعم والمساعدات من الدول والمؤسسات ويوزعها على الأهالي، فإذا ما رفضنا استلام المبلغ، نكون قد قصرنا تجاه الأهالي، لكوننا نرفع شعار «لسنا مناعين للخير»، رفضنا استلام المبلغ من الائتلاف لأننا لا نعترف به، يعني أننا قد «منعنا الخير» عن البلد، فقررنا في الاتحاد، في اجتماعنا المذكور، أن نأخذ المبلغ كحق مسترد من الائتلاف، ولم نأخذ المبلغ الأول إلا بعد محاولات كثيرة من قبلهم، وشروط من قبلنا، منها أن يقوموا بزيارتنا في مقر الاتحاد، وفعلاً قام أبو هاشم غزال بزيارتنا، وأوضحنا له أنه لا يوجد لدينا شيء اسمه مجلس إدارة محلية، وإنما يوجد اتحاد لجان ثورية، وكان من الشروط أيضاً أن نستلم المبلغ أمام أعضاء مجلس الإدارة جميعاً وبإبصار، وقد تم ذلك، على أن تصرف هذه المبالغ على المؤسسات الخدمية والمصلحة العامة، وكان المبلغ الأول المستلم ١١٨٠٠ دولار، أنفقنا منه على مؤسسة الكهرباء، وعلى مؤسسة المياه، وعلى المؤسسات الخدمية الأخرى، وفي المصالح العامة المنتشرة في المدينة، منها مثلاً إصلاح بعض الطرقات، ولا يزال باقياً قسم من المبلغ، وقد قرر الإخوة أن يستخدم المبلغ المتبقي إذا احتاجته اللجنة الخيرية الأهلية، لإكمال مخصصات الفقراء والمساكين والشهداء، وتم استلام المبلغ الثاني وهو ٤٠٠٠ دولار، ليصل مجموع المبالغ المستلمة إلى ١٥٨٠٠ دولار، وهكذا نكون حصلنا حصة أهاليينا بكرامة وعزة ومن غير نفاق، ليتم صرفها على مؤسساتنا الخدمية وعلى أهاليينا، ونكون قد حافظنا على شرف الثورة. رأينا تعاوناً قوياً بين شعبة الهلال الأحمر في مدينة بنش، واتحاد اللجان الثورية في الجانب الإغاثي، ثم بين ليلة وضحاها، تم سحب المعونات الإغاثية

من الاتحاد، التي كانت مقدمة من الهلال الأحمر، وقد حصلنا على معلومات تؤكد توجيه شكوى من قبل اتحاد اللجان الثورية، بحق شعبة الهلال الأحمر، في مقر الهيئة الشرعية في إدلب، وجاء الحكم لصالح الهلال الأحمر، واستأنفتم الحكم، ولم يغير الاستئناف شيئاً. نريد تفاصيل حول هذا الأمر.

كانت شعبة الهلال الأحمر، تعطي المساعدات للجنة الخيرية الأهلية، وتستعين بها، وكان التعاون بين الهلال واللجنة الخيرية الأهلية، وليس الاتحاد ككل، وشملت المعونات للجنة الخيرية بسبب كفاءة الإخوة فيها، وبسبب دراساتهم الدقيقة، والخبرة في التوزيع ومعرفة المحتاجين والأشد احتياجاً من الأهالي، وبسبب افتقار شعبة الهلال الأحمر للكوادر، إذ كان أغلبهم مسافرين، كانت اللجنة الخيرية -عند قدوم معونات الهلال- هي من تستلمها وتقوم بتوزيعها على المستحقين، إلى أن دعيت اللجنة الخيرية إلى اجتماع في سرمين، وكان ذلك عبر اتصال من قبل دكتور يسمى إبراهيم شحود، وذكر الدكتور إبراهيم في اتصاله، أن الدعوة للجان الإغاثية للالتقاء بمنظمة الصليب الأحمر، وعند ذهابنا إلى مقر الاجتماع، كان هناك (أبو سليمان) والفريق الذي توجه لحضور الاجتماع، ولم أكن موجوداً معه. وجودنا في الاجتماع أحدث بعض الحساسيات البسيطة بين الإخوة في الهلال والإخوة في اللجنة الخيرية، وبشكل مفاجئ، رأينا سيارة معونات تابعة للهلال تفرغ حمولتها في مستودعات مكتب الهلال، فوصل هذا الكلام للهيئة الشرعية أثناء تواجدنا في مقرها، فقامت الهيئة الشرعية باستدعاء شباب الهلال، ولم نكن نحن قد تقدمنا بشكوى، وإنما وصل الأمر للهيئة الشرعية أثناء تواجدنا في الهيئة، وعند حضور شباب الهلال حدث صراخ وجدال، وعندما حصلت مشادة كلامية بين الطرفين أمام القاضي، سحب القاضي الورقة وأنزلها كدعوى، وكتب أن المدعي هو اللجنة الخيرية، والمدعى عليه الهلال. وبعد دراسة الأمر من قبل الهيئة الشرعية، خرج الإخوة هناك بنتيجة، وليست حكماً لصالح أحد بعينه، وهي أن الهلال الأحمر غير مجزب على إعطائنا مواد الإغاثة.

في الأصل لا توجد شكوى أو قضية، لكن بعض المغرضين حاولوا استثمار قرار المحكمة، وبدأت تقولوا أنهم بأن هناك شكوى، لإظهار الهلال الأحمر بمظهر كاسب القضية، والفتنه اليوم أكثر من الخير للأسف، ولكن إن شاء الله سوف ينتصر الحق، ونحن اليوم نتعاون مع الهلال وعلى استعداد للتعاون، فقد طلب منا الهلال الأسماء التي لدينا، طلب ٣٠٠ اسم فأعطيناه ٢٣٠٠ اسم، وأعلمناهم بأن ٢٠٠٠ اسم من الأسماء المقدمة، مدروس وجاهز، كي لا يعيدوا دراستهم، توفيراً للجهد والتعب، وأن الـ ٣٠٠

اسم المتبقية، هم ممن سجلوا لدينا حديثاً. وردتنا أنباء تفيد بأن الاتحاد يقدم على إنشاء مركز في مدينة بنش للدفاع المدني. نتمنى أن تحدثنا عن هذا المركز. هذا صحيح. فقد خرجنا أول دفعة من شباب مركز الدفاع المدني الجديد الذي يتم العمل على تجهيزه في مدينة بنش، وكان عددهم يقرب ٢١ شخصاً يشرف عليهم اتحاد اللجان الثورية، والآن المركز سيفتتح أبوابه للعمل قريباً في المدينة. تقدمت تنسيقية مدينة بنش بطلب انضمام لاتحاد اللجان الثورية، وذلك تطبيقاً لدعوة الله عز وجل في كتابه الكريم (واعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وانتظرت التنسيقية أكثر من خمسة أسابيع دون رد أو إجابة، إلى أن تم سحب الطلب من قبلنا، ما سبب المماطلة التي حصلت، وهل هناك أيدي خفية تدخلت لرفض طلب التنسيقية؟

لا. لا توجد أيدي خفية، لأن الاتحاد كما أخبرتك مراراً، خدمي وليس سياسياً أو عسكرياً، ولا يوجد فيه مناصب يُطمع فيها، فالمناصب في الاتحاد تكليفية وليست تشريفية، فالإنسان المتصدي المهمة، يجب أن يكون فاعلاً وأن يعمل ويتعب، إذن لا يوجد أيدي خفية من أي نوع. وأثناء اجتماعاتنا قدم أحد الإخوة من قبلكم فرحبنا به في جلسة الاتحاد، ووضحنا له أن تأخر الدراسة كان بسبب كسل بعض الإخوة، وقدمنا له نسخة من النظام الداخلي ومبادئ عمل الاتحاد للاطلاع عليها، وأعلمناهم أن تنسيقية بنش -إن ناسبناهم العمل- على الرحب والسعة. ومؤخراً، طرح مجدداً أمر انضمام تنسيقية مدينة بنش للاتحاد، فكان جوابنا: «أهلاً وسهلاً بالإخوة بالتنسيقية»، وأعلمنا الإخوة في تركيا الذين تقدموا بطرح انضمام التنسيقية، لكي تقدموا دراسة عنكم وعن برنامجكم وعملكم، وما حصل من مماطلة كان بسبب أخطاء لم نبغ بما بشكل مباشر، وقد حصل تغيب أو نسيان، وليس هناك من تعمد أو قصد. أهلاً وسهلاً بكم.

هل لديكم ملاحظات على تنسيقية مدينة بنش؟

بارك الله بجهود تنسيقية مدينة بنش، فقد بذلتم جهداً كبيراً، وأنا أحب في الشباب الثبات والاستمرارية، وما دام الشاب فاعلاً إلى يومنا هذا في الثورة، فهو من الذين نحسبهم ممن يجاهدون في سبيل الله، ومن جانبي أشكر شباب التنسيقية الذين رأينا شعارهم من بداية الثورة وإلى يومنا هذا، فلم يفارق الأحداث، وواكب كل شيء ولم يقصر، ونسأل الله أن يتقبل عملكم. هذه ليست مجاملة بل حقيقة.

الإسلاميون والعلمانيون، آراء واتجاهات مختلفة

محمد الحاج

علمانية فالعلماني لا يعني أنه لا ينتمي إلى دين، بل أنه لا يفضل الحكم على أساس ديني.

العلمانية لا تلغي الأديان فعلى العكس تماماً، العلمانية قائمة على أساس إعطاء الحريات للجميع، فهي لا تلغيها ولا تعاديها بل تمنح حرية اختيار العقائد وممارستها، ولكنها تعمل على إبعاد رجال الدين عن التفرد في التحكم والسلطة ومقدرات الشعب، ولا تعمل حتى على إقصاء الأديان من اللعبة السياسية بل هي مثال حقيقي على الديمقراطية والحرية بإيمانها بالتعددية السياسية وحق الجميع أن يكون مُمثلاً في النظام الحاكم.

لقد عانينا في سوريا من تصنيف المواطنين على درجات بناءً على انتماءاتهم وولاءاتهم ومارترب الدولة، وإذا أردنا أن نتبنى نظاماً حاكماً يستند على ذلك من خلل وفساد في جميع مؤسسات الدولة، وإذا أردنا أن نتبنى نظاماً حاكماً يستند على أسس تعطي الحق للأفراد دون آخرين، بناءً على انتماءهم سوف نعود لنفس الخندق، وهذا ليس من مبدأ رفض الأديان أو حتى التشكيك بمضمونها وإمكانية عدلها، بل لأنّ الذي سوف يحكم باسم الدين أو باسم «الله» هو إنسان، والإنسان بطبعه مفعّم بحبه للسلطة ومستعد لتكريس ما يمكن تكريسه لنيلها، وعندما يكون ولاء الأفراد لأفراد معينين مبنياً على أساس ديني فغالباً ما يتسم بالتعصب والانصياع المطلق، وهذا ما يشكل شبحاً لدكتاتورية جديدة تحت مسمى ديني، تستغل الدين لتحقيق أهدافها السلطوية، ونجد التخوفات مبررة وخاصة عندما نرى تعدد الأحزاب والكيانات الدينية واختلاف أحكامها في كثير من الأمور، فكيف لها هذا وهي تتكلم بشريعة الرب؟! وعندما نرى البعض يهتفون باسم قائد عربي دكتاتوري فقط لانتمائه لطائفة معينة وهو بأفعاله حتى لا ينتمي لهذه الطائفة، ومنه فإن العلمانية هي الحل الأمثل للحكم في سوريا، فهي لا تمنع التعددية السياسية، وهي الوحيدة الكفيلة بإبعاد شبح دكتاتورية جديدة تحت أي مسمى، فهي الحريات المبنية على أساس احترام الجميع لعقائد ومقدسات الجميع، والمساواة العادلة بين المواطنين، فتجعل ممارسة الأنشطة البشرية يخضع إلى قواعد وقوانين علمية تتناسب ومستوى التطور في المجتمعات، فهي تحقق لهم العيش الكريم في ربوع الوطن الواحد.

هذه هي آراء عينة من الناشطين المدنيين. حاولنا تسليط الضوء على هذا النقاش الذي لطالما كان محتدماً بين الجهات المختلفة، واضعين بين أيديكم وعقولكم وجهات النظر لتتمكنوا من التعرف ولو بشكل بسيط على ماهية ما يقال ويتداول بين الأطراف المختلفة، ولكم حرية الاختيار والحكم.

خطّ علمانيّ مقابل، فالخلافة كمفهوم سياسي هي شكلٌ تاريخي لا يمكن تكراره، و ليست متضمنةً في الدين نفسه، المتضمن في الدين نفسه هو أن تحقّق الدولة شروط تحكيم شرع الله و مرجعية الأمة في الاختيار والشورى في الحكم وإقامة العدالة بين الناس، وهذه المبادئ يمكن أن يتغيّر شكل تظهيرها حسب التاريخ والمجتمع والتراكم التشريعي والمعرفي لأيّ شعب.

على مدى أكثر من نصف قرن، عانت شرائح واسعة من الشعب من شعور التهميش والمعاداة بسبب شكل الحكم الذي يتخذ شعارات علمانية و بنية طائفية موجهة لتجهيل الثقافة السائدة، من قبل نظام لم يكن له بغير قوة القمع والتهريب أن يقوم ويستمرّ، إنّ محاولة فرض نظام علمانيّ يهّمس الثقافة الإسلامية، يعني محاولة استعادة نظام ديكتاتوري، ويعني في الواقع القائم استشارة حرب لا تنتهي مع فئاتٍ لن ترضى أن تنازل لإرادة لا تمثلها، بعد أن دخلت معركة طويلة لأجل ألا تُسلب منها إرادتها، وألا تحكّمها أنظمة لا تشبهها بغير الأسماء، ولذلك فمراجعة مركزية الثقافة الإسلامية ومرجعيتها هي السبيل الذي يبدو الأضمن لئلا ينشأ اغتراب آخر بين الدولة والمجتمع، ولتجنّب صراعاتٍ لن تنتهي، وللتأسيس لقواعد تداول سلطة هادئ وعادل، مع الحرص على عدم قيام دولة استبداد باسم الدين، لأنّ ذلك سيكون عداوةً للدين أكبر وأخطر وأضرّ.

وفي الاتجاه العلماني قال الناشط براء مايلي:

«العلمانية في العربية مشتقة من مفردة علم، وهي بدورها قادمة من اللغات السامية القريبة منها وبالإنجليزية أو الفرنسية تعني «العامّة» أو «الشعب»، وبالآداب السياسي فصل الدين عن السلطة السياسية الحاكمة، فالدولة لا تتبنى فكراً يستند على دين محدد، وهي بذات الوقت لا تعادي الأديان، بل تترك حرية ممارسة العقائد والقناعات ولا تفرض التزاماً بفكر معين، فتعتمد مبدأ المساواة بأمور المواطنة، فجميع المواطنين مواطنون من الدرجة الأولى، والتفاضل بينهم لا يتم على أسس دينية أو أئنية أو عرقية، بل على أسس علمية وعملية تصب في المصلحة العليا للوطن. لا يمكن نكران أنّ الثقافة العامة في بلداننا نابعة من الأديان، ولكن بنفس الوقت نعلم كمّ المزيج الديني والأيدولوجي الذي تتكون منه سوريا، فمن الممكن أن تكون الثقافة العامة نابعة من الأديان ولكن هذا لا يعني أنّ الرغبة العامة تمتلك إرادة أن يكون نظام الحكم دينياً، فرى أنّ القاعدة الشعبية يمكن أن تكون ذات أغلبية الثقافة الإسلامية هو تمهيش للمجتمع.

من أوائل النقاشات التي واجهت الثوار وشباب الثورة، هو شكل الدولة بعد سقوط نظام الأسد، فأخذ كلٌّ يناقش ويحلل الواقع السوري محاولاً إقناع الآخرين بشكل الدولة التي يتبناها.

وكانت أكثر الكلمات تردداً على المسامع هي الإسلامية والعلمانية، فأجرينا لقاء مع ناشطين، أحدهما يدعم إقامة دولة إسلامية والآخر دولة علمانية.

ففي الاتجاه الإسلامي قال الناشط محمود مايلي:

«الاتجاه الإسلامي كلمة عامة لا تحيل لمدلول واضح، ولكن تستخدم عادةً لوصف النزعة الإسلامية لدى النخب والمجتمع، و يتضمن مرجعية الإسلام في كونه الناظم للمجتمع، وأساس التشريع ومنطلق الروح العامة، والتي لا تحضر لدى المسلمين وحدهم؛ باعتبار الحضارة الإسلامية والموروث المتراكم هي أساس الثقافة السائدة التي تفاعلت مع روافد مختلفة، وهذه المرجعية الإسلامية في الحكم ليست ممّا يُفرض على المجتمع بقدر ما يختارها، وبقدر ما إنّ هذا الاختيار محصلة طبيعية لثقافته وبنية المجتمعية، كما أنّه لا وجود لدولة تنفصل عن ثقافة الشعب السائدة وموروثه إلا كانت دولة قمعية ديكتاتورية مفروضة من خارجه.

إن أردنا استخدام «إسلامية» بمعنى الخيار السياسي، فلا يلزم -على مستوى الأمر الواقع- أنّ الأكثرية المسلمة أكثرية مشروع سياسي إسلامي، ليس لوجود أيديولوجيات علمانية مختلفة حاضرة، و إنّما لأنّ هناك أكثر من مشروع إسلامي ممكن، لأنّ المشروع الإسلامي ليس هو الإسلام، و إنّما هو اجتهاد في الإسلام لتحقيق غاياته و تحقيق مقاصده، وهذا الاجتهاد من طبعه أن يتعدّد، أي أنّنا حين نتكلّم عن نزعة التدين فهي أمر سائد في المجتمع، وحاضر أكثر في المجتمعات ذات الخصوصية المحلية والسياسي التراجعي في الأرياف، وهي التي حضنت الثورة، ولكن هذه النزعة لها أكثر من تظهير، قد لا ترضى جميعها عن مشروع سياسي إسلامي بالضرورة، لأنّه قد لا يحقّق غاياتها ولا يتسق مع رؤيتها، سواءً كان الخلل في سلوكه السياسي أو في اجتهاده الديني، دون أن يلغي ذلك أنّ تمهيش الثقافة الإسلامية هو تمهيش للمجتمع.

ليس للاتجاه الإسلامي «اتجاه» واحد بالضرورة، وليس للخلافة معنى محدد واحد بالضرورة أيضاً، فهذه الأحاديّة الخطيّة غير متحققة بالنسبة للإسلام السياسي (إن قبلنا هذه التسمية)، مع ملاحظة أنّ شعار «الخلافة» لا يستخدم لإعلان شكل دولة ناجز وواضح بقدر ما يُظهر لمواجهة

التطرف في سوريا يشكل خطراً متنامياً على أوروبا

النص العربي لمقابلة (عبد الله غول) مع صحيفة (الغارديان)

حاوره: سيمون تيسدال - ترجمة: نور مارتيني

تحدث الرئيس التركي (عبد الله غول) إلى صحيفة الغارديان في مقابلة نشرت بتاريخ ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٣، خلال عطلة نهاية الأسبوع التي قضاها في مدينة (إدنبرة)، حيث حضر المؤتمر التركي- البريطاني المشترك المسمى (تاتلي دل)، وقابل مواطنين اسكتلنديين من أصول تركية، وتلقى خلالها دعوة على العشاء من قبل دوق مدينة (يورك)، وهذه هي الترجمة العربية الكاملة لنص المقابلة.



وزير الخارجية التركي، عبد الله غول

كنا قد أنفقنا مبلغ ملياري دولار أمريكي (١,٢٥ مليار يورو) كمصاريف من أجل السوريين، وسنستمر في القيام بذلك، فالمسألة بالنسبة لنا إنسانية بحتة، (ولكن) مشاهدة اللامبالاة من جانب المجتمع الدولي، مسألة مؤسفة حقاً.

وقال (غول) بأنه في حال استمرت الأمور في التدهور في سوريا، وتركت لتسير على عواهنها دونما رقابة، فإن هذا ينذر بتصاعد حدة وتيرة التحديات الأمنية ومكافحة الإرهاب في تركيا.

«إذا ما بقي المناخ العام على ما هو عليه اليوم، فإن هذا سيقود إلى مزيد من التطرف، كما أن بعض الفصائل المنخرطة في الحرب الأهلية ستصبح أكثر حدة في الطابع، أكثر انقساماً، وستصبح خارج نطاق السيطرة تماماً، فضلاً عن أنها ستتشر في شتى أصقاع ذلك البلد؛ إذ أنه تحت ظروف كهذه، قد يتحول الناس الطبيعيون إلى متطرفين، وهذا الأمر لا يشكل خطراً على تركيا وحدها فحسب، بل إنها قضية معنيٌّ بها كل إنسان على وجه البسيطة.

لا أعتقد أن أحداً من الممكن أن يتساهل مع مسألة كوجود دولة شبيهة بأفغانستان على شواطئ البحر الأبيض المتوسط. ولهذا السبب، بات لزاماً على المجتمع الدولي أن يتوصل إلى موقف صارم ومتماسك حيال ما يتعلق بسوريا».

ولكن، لسوء الحظ، يبدو أن هذا الموقف العاطفي راح يضمحل، في وقت كان فيه البلد أخذاً بالانحيار.

المستجدة، ومن بينها وصول عدد اللاجئين السوريين في تركيا إلى ٥٠٠,٠٠٠ لاجئ.

ولدى سؤاله حول مخاطر امتداد الحرب إلى خارج الأرض السورية، صرّح (غول) بأنه، في حال تعرضت الأراضي التركية إلى أي نوع من أنواع الاعتداء، أو الاجتياح، فإنها سترد عسكرياً «بأقصى أشكال القوة المتاحة».

وأردف قائلاً: «ما من داع للسؤال عن قضية كهذه، في الواقع كنا قد أعلنت سابقاً بأننا قد غيرنا قواعد المعركة، ومنحنا القوات المسلحة التركية كامل الصلاحية حيال هذه المسألة.. لا أستطيع التكهن بمدى السوء الذي قد تصل إليه الحالة، فالوضع أساساً في غاية السوء. ولكن دعني أقل أيضاً إن ما نشهده ليس عبارة عن مسألة ثنائية تخص تركيا وسوريا، لم يسبق أن نشب أي نوع من أنواع النزاع بيننا وبين سوريا، ولكن عندما بدأت حالات الانتهاك لحقوق الإنسان هذه بالحدوث، وارتكبت المجازر بحق سكان سوريا المدنيين، تحولت المسألة إلى قضية إنسانية، بالنسبة لنا جميعاً، نحن من ندعى بالمجتمع الدولي. المزبنة الوحيدة التي تجعل تركيا منخرطة كل هذا الانخراط بالمسألة السورية هي حق الجوار، وأيضاً من زاوية أن تركيا تستضيف على أراضيها نصف مليون مواطن سوري، من بينهم ٢٠٠,٠٠٠ سوري يعيشون في مخيمات اللاجئين، و٣٠٠,٠٠٠ آخرين يعيشون في المدن التركية المختلفة، متدبرين شؤونهم بطرقهم الخاصة.

في لقاء حصري مع الرئيس التركي (عبد الله غول) يقول: «سوريا تواجه مخاطر جدية بأن تتحول إلى أفغانستان جديدة على سواحل المتوسط».

إن الأمة السورية تحتضر فيما يواصل المجتمع الدولي اللامبالي مراقبتها، كما أن الرقعة الجغرافية التي تشغلها سوريا، تواجه مخاطر التحول إلى «أفغانستان على سواحل البحر الأبيض المتوسط»، بحسب ما صرح به الرئيس التركي (عبد الله غول).

إضفاء نزعات التطرف على أناس طبيعيين في الأساس من قبل فرق جهادية إسلامية، راح ينتشر على امتداد رقعة الأرض السورية مشكلاً مخاطر جمة على دول الجوار، والدول الأوروبية أيضاً، وفق ما أدلى به الرئيس غول في لقاء حصري مع جريدة الغارديان.

ولكن ردود فعل المجتمع الدولي - بما فيها حلفاء تركيا، الأمريكيين والإنكليز - تجاه أمنها، التحديات الإنسانية والأخلاقية التي فرضتها الأزمة، كانت مخيبة للآمال، حسب ما أورد في اللقاء - وقد كرّر وجهة نظره مراراً بأن أداء مجلس الأمن، التابع لمنظمة الأمم المتحدة كان مخزياً.

وبلهجة ناقدة حادة في بعض الأحيان للسياسة الأجنبية المتبعة حول سوريا، قال (غول) إن مقتل أكثر من ١٠٠,٠٠٠ مواطن سوري، معظمهم من المدنيين، على مدى ٣٢ شهراً من الاقتتال كان من الممكن تجنبه؛ بحسب شكواه، لم تلق الجهود التركية للوساطة أي نوع من الدعم، بل وأبعد من ذلك، فقد تم تقويضها من قبل بعض القوى الغربية.

ومع استمرار هذا الصراع الذي لا يبدي أية إشارة تدل أنه مقبل على نهاية، تواجه تركيا حالة عارمة من عدم الاستقرار، وتجريد من السيطرة على امتداد ٥٦٥ ميلاً من الحدود مع سوريا، إن حالة التطرف العلوية والكردية من جهة، والمسلمين السنة من جهة أخرى تغزو المكونات السورية، وامتداد العدوى ببعض الأمراض من قبيل شلل الأطفال، السل، والحصبة، والكثير من القضايا

السؤال يعود ثانية إلى ملعب المجتمع الدولي.. بالطبع نحن في غاية السعادة بخصوص مسألة الأسلحة الكيماوية، وندعمها بشكل كامل. ولكن، هل المسألة تقف عند حدود السلاح الكيماوي؟ هل يمكننا اختصار كل ما جرى بمسألة السلاح الكيماوي؟ أعتقد أن تساؤلاً أخلاقياً ينبغي طرحه هنا على المجتمع الدولي».

ولدى سؤاله فيما إذا كان على الولايات المتحدة وبريطانيا بذل جهد أكبر لإنهاء الأزمة، أجاب: «لقد كانت توقعاتنا مختلفة تماماً، توقعنا منهم القيام بأكثر مما قاموا به، أعتقد أنه من المحبط جداً أن نرى كل النقاشات تخفض إلى مستوى نقاشات حول الأسلحة الكيماوية وحدها».

وقد ذكر (غول) بأنه من الأهمية بمكان أن تكون التحضيرات لمؤتمر (جنيف ٢) للسلام المزمع عقده في الشهر الجاري أفضل من التحضيرات لسابقه. لقد شعر بأن مؤتمر لندن لمجموعة أصدقاء سوريا الذي عقد الشهر الماضي، قد يساهم في دعم مجهودهم. ولكنه أعرب عن أمل ضئيل بان يحرز لقاء جنيف المقبل تقدماً كبيراً، فيما لو حدث، وفي توقيت انعقاده.

«البلد تُدمر.. ومن وجهة نظري، ليس هنالك الكثير مما يمكن القيام به الآن».

يدعمون من خلالها أقوالهم، الأمر الذي لم يحدث مطلقاً».

«ما قمنا به لم يؤت أكله، ولم يتبق لدينا الكثير مما يمكن القيام به، أمل أن يكون الأسد قد استوعب ما كنا نقوله له، في آخر رسائلتي قلت له، إذا استمرت الأمور على ما هي عليه، فإن أي مجهود سيبدل سيكون ضئيلاً جداً، ومتأخراً جداً، وإنه يجب أن يأخذ بزمام المبادرة ويقود التغيير في بلاده، وبذلك لن تنقسم بلاده إلى دويلات».

«لقد قرأت رسالتي كاملة، وأبدى إعجابي بفحواها، مشيراً إلى أن كل ما طرحته على غاية الأهمية، ولكنه لم يعمل على تطبيق ما ورد فيها، بل إنه لم يقيم بأي شيء على الإطلاق. ولكن أكثر دقة، لو أنه أعار انتباهاً لنصيحتي، فلربما لم يكن هؤلاء الأشخاص المئة ألف ليموتوا، وما كانت سوريا لتواجه كل هذا الدمار».

كما أوضح «غول» أن صفقة الأسلحة الكيماوية المبرمة مع الأسد، والتي كانت روسيا عزيمتها، كانت عبارة عن تشتيت للوقت والجهد، استغلها الأسد في تدعيم مكانته.

«قد يقال بأن الأسد مع الروس قد أحسنوا استخدام فرصة الأسلحة الكيماوية، ولكن

«بادئ ذي بدء، كانت النبرة الخطابية للمجتمع الدولي عالية جداً (كدعوة الرئيس بشار الأسد للتسحي فوراً)، ولكنها فيما بعد، تراجعت إلى ما هي عليه في الوقت الراهن. وهذا، بحد ذاته، يشكل تناقضاً. ومن الناحية الأخلاقية، هنالك دولة تدعى سوريا، وهي تنهك نفسها بنفسها، وتستهلك نفسها أيضاً، مع العديد من الناس الذين يقضون نحبهم فيها، البنى التحتية فيها تُدمر، ما يحدث الآن له الكثير من الآثار السلبية، والمجتمع الدولي يقف متفرجاً، ببساطة يراقب ما يجري، إنه لمدعاة للأسف حقاً!»

وقال (غول) إن الجهود التركية لإشراك (الأسد) في الحوار منذ سنتين خلتا، لم تلق الدعم الكافي من حلفاء تركيا الدوليين، ولكنها كانت لتقلل من مفاعيل الكارثة التي تحدث اليوم.

«لقد توجهنا إلى الأسد بالحديث لأننا رغبتنا في أن تحل المسائل بوسائل سلمية، وهذا الإشراك على جميع الصعد، لم أكن وحدي معنياً به، رئيس الوزراء، وزير الخارجية، جميعنا بذلنا مجهوداً كبيراً، وفي ذلك الوقت واجهنا ضغوطاً حتى من حلفائنا، حيث قالوا يومها إنه يستغرق وقتاً طويلاً، وإنه لم يكن ليؤدي إلى أية نتيجة. هذا ما عينته بحديثي عن النبرة الخطابية العالية للمجتمع الدولي في البدايات، كان عليهم القيام بأفعال

الشيخ (أبو أحمد الرقاوي) على بيادر حنطة

حنطة - مكتب الرقة

«ثورة الكرامة أشعلها أهل درعا، من أجل تحرير الإنسان، ليعيش بلا قيود يفرضها النظام على الجميع». موقفه كرجل دين من الدولة المدنية ومن الظواهر الجديدة على مجتمعنا، في حوار أجراه معه مكتبنا في الرقة.

بدأ الشيخ أبو أحمد بدراسة العلم الشرعي في مدينة تل أبيب قضاء الرقة، ثم عمل كخطيب في مساجد ريف الرقة لمدة ثماني سنوات، ودرّس مادة التربية الإسلامية للمرحلة الإعدادية وعمل معلماً لمرحلة التعليم الأساسي لست سنوات، إلى أن منع من التعليم، وكذلك عزل عن الخطابة في المساجد بأمر من شعبة المخابرات العامة بدمشق بسبب مخالفته لأفكار النظام، الذي كان يحاسب على النوايا قبل الأفعال، فكان كثيرون من زملائه ضحايا لمثل هذه التهم، وقد اعتقلوا لسنوات».



• ما هو رأيك، كرجل دين فيما تشهده سوريا منذ حوالي الثلاثة أعوام.. الثورة، المقاومة الشعبية، المعارضة، النظام السوري..؟

قامت هذه الثورة المباركة ضده ومن أجل تحرير الإنسان السوري من العبودية والذل والتخلص من سياسة تكميم الأفواه ومصادرة الحريات، وقد ولد الناس بالأصل أحراراً كما قال أمير المؤمنين عمر (متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً)، وبناء على ذلك فقد أيدنا الثورة ودعمناها بقوة منذ اللحظات الأولى لاندلاعها، وعملنا في

ذكرت أن هناك أخطاء تحصل باسم الثورة: الأخطاء التي يمكن أن نحملها للثورة والثوار هي بعض الأخطاء غير المقصودة، لأن الذي يعمل بالمؤكد هو بشر وليس معصوماً عن الخطأ، ونحن المسلمون لدينا قاعدة ربانية كما جاء في الحديث القدسي (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)، أما أن نحمل الثورة بعض الأخطاء الفادحة التي فيها ضرر للناس من حيث تخريب الممتلكات ومن ناحية التدخل في المعتقدات فهذا ليس من عمل الثوار ولا من أهداف ثورتنا المباركة التي قامت بالأصل ضد الظلم والاضطهاد ومصادرة الحريات كم ذكرنا آنفاً. لا أخفيك حصلت بعض الأخطاء، لكنها لا تمثل الإسلام ولا الأخوة المجاهدين من كل الفصائل، وما حصل في الكنيسة ليس للكتائب المجاهدة على الأرض علاقة به لا من بعيد ولا من قريب، فنحن المسلمون لا نتميز بين أبناء الشعب الواحد، ولا نفضل فئة على أخرى من ناحية المعاملة في توفير مستلزمات الحياة اليومية والطبية والخدمات كالكهرباء والماء والنظافة والطبابة وغيرها.

• هل كان لكم كرجل دين دور في تعزيز التعايش المشترك داخل تل أبيب وبقية المدن السورية؟ حدثنا عن هذا الدور.

بقية الطوائف والملل الأخرى من غير المسلمين الذين يعيشون معنا على هذه الأرض، نتمنى عليهم أن يلتحقوا بركب الثورة ويقفوا مع من قام على الظلم والاستبداد ومصادرة الحريات، وأن يقدروا عالياً ما قام به أهل هذا البلد من المسلمين السنة من تضحيات جسام سواء من حيث تقديم القوافل من الشهداء الذين هم من خيرة أبناء هذه الأمة من أجل استعادة الأمة لكرامتها المسلوقة منذ أكثر من ٤٠ عاماً على يد العصابة النصرانية المجرمة التي قامت على الظلم والقتل والاعتقال وهدم وتدمير المنازل وتهجير الناس الآمنين من بيوتهم وتشريدهم في أصقاع الأرض يفتشون التراب ويلتحفون السماء .

• هل أنت متفائل بمستقبل البلد.. كيف ترى مستقبل سوريا؟

الكلام عن المستقبل؟ لا نستطيع إلا أن نسأل الله عز وجل أن يحقن دماء المسلمين وأن يحفظ عليهم دينهم، لأن المستقبل علم غيب وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه (قل لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله).

الدولة المدنية مع الشريعة الإسلامية، أين يتوافق وأين يتعارض الفكر الإسلامي مع الفكر الديمقراطي؟

عن موقف الإسلام من المدنية فالإسلام دائماً مع التطور والتقدم والرفي ومع العمل المؤسسي المتطور، لأن باب العلم والتقدم في الإسلام مفتوح، البعض يفهم المدنية على أنها انحلال خلقي وإباحية، وهذا خطأ. يقول الله عز وجل (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة)، فليس هناك أي تعارض بين الإسلام والمدنية. الإسلام هو الذي نقل الناس من حياة البداوة إلى حياة الحضرة والمدنية، أما الديمقراطية فإن كان معناها حرية الرأي فلا بأس، وأما إن كان المقصود بما نظام الحكم فهي تتعارض مع الإسلام لأن قانون الحكم والدستور الذي تحكم به الشعوب هو من صنع البشر، وهذا مرفوض في الإسلام، لأن المشرع هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي وضع القوانين التي يجب أن تحكم البشر لأن فيها العدل والمساواة بين جميع البشر. (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)، كما جاء في الحديث الشريف. وقبل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

• الخلافات بالرأي بين الأطراف قادت بعض المجموعات إلى التطرف في طرح أفكارها، مما أدى إلى صدامات بين بعض المجموعات، ما هي نظرتكم في هكذا حالات؟

الخلافات بالرأي تحصل عند كل الشعوب، فكل شخص له رأيه الخاص به في موضوع ما، لكن كل الأطراف التي تختلف بالرأي لديها ثوابت متفق عليها، تتركز عليها ولا يمكن أن تتنازل عنها، وكلما زاد الاختلاف بالرأي توسعت آفاق الفكر، وعلى أثر ذلك ممكن أن تتوسع المشاريع وفي النهاية يكمل بعضها بعضاً. أما أفكار من الناحية الدينية، فكل الأطراف متفقة على ثوابت أساسية كما قلت لك، لكن هناك خلافاً في الفروع وبعض المسائل الفقهية.

• هل تحدثنا عن علاقتكم مع المشاريع المدنية التي نراها في المناطق المحررة كالمجالس المحلية أو المنظمات المدنية؟

نحن مع دعم المشاريع الخدمية ونقوم بمساعدة المنظمات الدولية خصوصاً في المجال الطبي والتعليمي والإغاثي.

• ما رأيكم في حالات الاختطاف والقتل التي تقوم على خلاف في الرأي أو المعتقد، وفي التجاوزات التي تحصل باسم الثورة؟

البداية وكأي ثورة قامت ضد الأنظمة الفاسدة بالطرق السلمية ولكن أبي نظام الأسد إلا أن يغير مسار الثورة من السلمية إلى التسليح، وذلك من خلال استخدامه القوة العسكرية المفرطة ضد أبناء الشعب السوري، حيث استخدم كافة أنواع الأسلحة التقليدية من دبابات ومدفعية ثقيلة وصواريخ أرض أرض وطائرات، ولم يكتف بذلك، بل استخدم الأسلحة المحرمة دولياً على مرأى ومسمع العالم المتحضر بأسره بما في ذلك المعارضة في الخارج، التي عول عليها الشعب السوري كثيراً في البداية، لكنها أيضاً خذلتها كما خذله العالم. الآن الشعب السوري ألقى بكل الشعارات ورفع شعاراً واحداً: يا الله ما لنا غيرك يا الله. فالمعارضة التي تقبع الآن في فنادق اسطنبول لا تمثل إلا نفسها.

• تل أبيب مدينة متنوعة دينياً وقومياً، تواردت أنباء عن تهجير بعض العوائل على أساس ديني وقومي، ما صحة هذه الأنباء، وما الحكم الشرعي في هكذا حالات؟

حول سؤالك عن التهجير، هذا الكلام ليس صحيحاً. فالشعب السوري نسيج متكامل لا يمكن أن ينفي بعضه الآخر، فهو متعايش على هذه الأرض منذ آلاف السنين، وإن كنت تقصد الموقف من الأخوة الأكراد فهم شعب مسلم يعيش على هذه الأرض، له ما لنا وعليه ما علينا وليس لنا أي خلاف معه إنما خلافاً نحن وهم مع الحزب الانفصالي الذي يسعى لتقسيم البلاد إلى كيانات متعددة، أما باقي الأخوة الأكراد فهم مرحب بهم في بلدنا وليس لنا معهم ولا مع غيرهم من الأديان الأخرى أي خلاف.

• ظهرت في الآونة الأخيرة عدة فتاوى غريبة عن المجتمع السوري، تدعو إلى التضييق على الحريات الشخصية، كيف تنظرون إلى هكذا فتاوى وما هو الحكم الشرعي لها؟

أما عن الفتاوى، فإن كانت تخالف الكتاب والسنة فهي فعلاً تضييق ومصادرة للحريات، أما إن كانت مستمدة من الكتاب والسنة النبوية فهي توسعة للناس. كيف؟ لأنها تحفظ دينهم وكرامتهم، وتحرم دماءهم وتحفظ أموالهم من أن يستبيحها من كان يجهل أمور وأحكام دينه، وأما إن قصدت في سؤالك الحجاب، فهذا فيه حفظ لأعراض المسلمين والأدلة على ذلك كثيرة، فقد أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يأمر نساءه و بناته ونساء المسلمين أن يدينن عليهن من جلابيبهن وذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين. أي حتى لا يعرفن الناظر إليهن ويؤذيهن بالكلام عنهن من خلال وصفه لهن.

• هل يتعارض مفهوم الديمقراطية ومفهوم

التنظيمات الجهادية واستراتيجية الجبهات المفتوحة

عابد ملحم



جهاديون في الشمال السوري

وعندما استشعر العالم خطورة الأمر بدأت ملامح النظام العالمي الجديد بالظهور، وأصبح العناصر المطلوبة تسلم لحكوماتها بموجب اتفاقيات دولية، لترى التنظيمات الجهادية نفسها محاطة بطوق لا فكك منه سيما أن نظام القطبين الذي اتخار عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور أمريكا كما مايسترو لهذا العالم جعل الأمر أكثر تعقيداً، كما عزز استراتيجيات التعاون الأمني الدولي.

في هذه الأثناء بدأت التنظيمات تعيد للممة شتاتها وتتنظم من جديد، إلا أنها أدركت، هذه المرة، أن الخسائر الفادحة التي تلقتها في عدد كبير من الدول يجب أن يتم تجاوزها فتم نسف نظرية التنظيم السري الهرمي والذي أودى بشبكات كاملة من المجاهدين (يعترف العنصر في حال الاعتقال على الأمير الذي فوقه والذي بجانبه والأخير يعترف على من بجانبه ومن فوقه وهكذا حتى الوصول إلى الرأس فينفرط العقد)، ولهذا كان يجب إيجاد البديل.

رأى منظرو الجهاد وعلى رأسهم أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، أن نظام الجبهات المفتوحة كان أجدى، وهو نظام يعتمد على سفر «المجاهد» إلى المناطق الساخنة وخطوط الجبهات، وهذا ما حصل فكان ما كان في أفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك والقرن الأفريقي، والفلبين وكشمير.

وتميزت تلك الطريقة بالعننية، بعكس التنظيمات السرية، وقد حققت نجاحاً باهراً على كافة الأصعدة، أولها النجاح العسكري ولو بصورة نسبية، وصمدوا لأول مرة أمام قوى عسكرية عظمى، ولم تشهد التنظيمات الجهادية هزيمة ساحقة إلا ما ندر في الجبهات المفتوحة، والأهم من ذلك هو النجاح على الصعيد الأمني، فقد حفظت الجبهات المفتوحة التنظيم من التفكك، لأنه لا دور للمخابرات وأجهزة الأمن على الجبهات.

لتعاود الكزة في سوريا ١٩٨١، ومصر ١٩٨٠، وليبيا ١٩٨٩.

تميزت تلك الحركات بأنها كانت فقيرة إلى حد كبير بالخبرات الاستراتيجية وتدفعها العاطفة والتهور، خاصة أنها سرية وتتبع التنظيم الهرمي الذي أثبت فشله أمام تطور أدوات وآليات عمل النظام العالمي الجديد مع بداية التسعينيات.

وأولى تجليات هذا الفشل الذي واجهته تلك التنظيمات هو الفشل العسكري، حيث أخفقت أمام أجهزة المخابرات والجيش التي واجهتها عسكرياً، كما فشلت أمنياً، حيث أن جميع الحكومات التي واجهت تلك التنظيمات أجادت تفكيكها واختراقها، وسوى أن الفشل الدعوي المتمثل بمشدد الأمة في تلك القضية لم يتحقق، حيث وقف معظم من كان يفترض أن يكون معنياً (المسلمون) ضد تلك التنظيمات، فإن الفشل السياسي وهو الأهم كان الضربة الكبرى التي أعاققت تحقيق الهدف الكبير وهو «الإطاحة بحكومة مرتدة مبدلة لشرع الله وإقامة خلافة راشدة على أنقاضها».

ويتحمل التنظيم الهرمي المذكور، بحسب منظري الجهاد، المسؤولية الأكبر في تفكك تلك التنظيمات من جهة، ووصول دول العالم إلى صيغ احترافية للعمل والمواجهة، بلورها فيما بعد ما سمي النظام العالمي الجديد من جهة أخرى، حيث كان العنصر الجهادي يعمل ضمن القطر الواحد بشكل سري، وعندما كان يلاحق فإنه يفرّ إلى دول الجوار ويتابع الحركة، لتظهر مطلع الثمانينيات اتفاقيات التعاون الإقليمي الأمني، فمثلاً وقّعت سوريا اتفاقيات أمنية مع دول مجاورة كالعراق وتركيا والأردن ولبنان، يعتقل بموجبها المطلوبون للحكومة السورية، وكذلك العكس، الأمر الذي اضطر المقاتلين إلى توسيع دائرة الفرار إلى بلاد أخرى لمتابعة الحركة.

تعترف التنظيمات الجهادية بمختلف تنظيماتها وعلى رأسها القاعدة، بفشل شبه كامل عبر عقود طويلة من الزمن حاولت فيها القيام بتأسيس الخلافة الراشدة على أنقاض دول يحكمها «الصائل» المبدل للشرعية الإسلامية بأخرى وضعية، فمنذ أن خرجت تلك التنظيمات من رحم أفكار (سيد قطب) إثر الانقلاب الفكري عام ١٩٦٥ الذي قاده ضد الناصرية مستلهماً جل أفكاره من المفكر ومؤسس حركة الدولة الإسلامية في الهند (أبي الأعلى المودودي)، لا سيما رسالته الموسومة بـ (المصطلحات الأربعة في القرآن)، مروراً بحركات التحرر الإسلامية في المغرب وصولاً إلى الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، شكّلت ما يمكن أن يكون منهجاً عملياً ومرجعاً لكل من أتى بعد ذلك.

ولأن تلك التنظيمات التي ظهرت هنا وهناك وخاضت أشرس العمليات الجهادية خلال أكثر من ثلاثين عاماً حتى العام ٢٠٠٠، لم تكن لتحقق ما نراه اليوم على كافة الصعد لولا منظروها الذين أخذوا على عاتقهم وضع النظريات الجهادية وتدريبها للوصول إلى المبتغى، رغم كثرة الأخطاء والوقوع في مطبات الفشل في أحيان كثيرة.

ومضة تاريخية

بدأ التيار الجهادي نشاطه الفعلي في العام ١٩٦٥ من خلال عدة تنظيمات لم تكن ترتبط ببعضها البعض، إنما تتغذى بشكل رئيس على أفكار (سيد قطب) وآخرين ممن وضعوا أسس العمل المسلح فكانت (التنظيمات السرية القطرية)، كما يسميها (أبو مصعب السوري) أحد أبرز وأهم منظري القاعدة.

وتعتمد تلك التنظيمات السرية القطرية (أي ضمن القطر الواحد)، السلم الهرمي، حيث يكون لها أمير يرتبط به مجلس شورى وكل عضو بمجلس الشورى يرتبط به ثلاثة وكل واحد من الثلاثة يرتبط بخمسة.. وهكذا، وهو أسلوب اعتمد بشكل رئيسي طوال ٣٥ عاماً (حتى عام ٢٠٠٠) في العمل الجهادي، حيث ظهرت حركة الشبيبة المغربية في عام ١٩٦٣ قبل أن تبلور الرؤية في مصر (سيد قطب ١٩٦٥)، كما ظهرت في العام نفسه تجربة مماثلة على يد مروان حديد في سوريا وهي المحاولة المسلحة الجهادية الأولى في البلاد، تلتها حركة (إكينجلر)، وتعني الطلبة، في تركيا عام ١٩٦٩، ثم في عام ١٩٧٤ ظهرت الحركة الإسلامية (حركة مصطفى بو علي)،



الوقت حان لإعلان الدولة الإسلامية، حتى وهي أمام تحدي التنوع العرقي والطائفي في سوريا، الذي يشكل حجر عثرة حقيقياً، وهنا تكمن المشكلة الحقيقية، والتي لم تظهر في أي وقت مضى بهذه الحدة، فقد كان تاريخ الجهاد (خاصة فيما يتعلق بالجهات المفتوحة) حافلاً بالإنجازات وحشد التأييد أمام جيوش الاحتلال التي وصلت إلى «بلاد المسلمين»، أما اليوم فترى التنظيمات نفسها أمام تركيبة صراع من نوع آخر، في مجتمع تختلف فيه التوجهات بين العلمانية والصوفية والشيوعية وأمام كم كبير من الاتجاهات الطائفية الأخرى، وتنوع الطيف الإسلامي حتى.

المشكلة السورية باتت مشكلة المشاكل في المنطقة، فأمام معارضة سياسية هزيلة وحركات مجتمع مدني ما كان لها في الماضي أن تبني نفسها في مناخ حر وتنظيمات جهادية أمسكت المقود العسكري بشكل شبه كامل ونظام سياسي أرقق على مدار وتنضج تجربتها، لا يمكن لأية دراسة من أي نوع أن تقرّ المشهد، لسنوات قادمة ولا لأشهر، فالتشكيلات العسكرية المتنوعة، تخفي اختلافات جوهرية في الصميم، إلا أن ما يجمعها اليوم هو الهدف المشترك بالإطاحة بالنظام، لكن التخوف الحقيقي يكمن فيما بعد هذا السقوط.

ولا يمكن للهدف التكتيكي المشترك أن يكون صمام الأمان اليوم أمام كل تلك القوى، فالتنظيمات الجهادية تسير وفق مشروع محكوم بنصوص فوق أرضية، بينما تنضوي التشكيلات الأخرى تحت تأثير العوامل المحيطة وترتحن للطرف والحالة دون أن يكون هناك مخطط واضح تسير عليه، مما يجعل تباين الأسلوب والهدف سبباً محتملاً وقوياً للاشتباك مستقبلاً.

مصادر:

- ١- «المستضعفون» لـ أبي مصعب السوري.
- ٢- نظرية المقاومة العسكرية العالمية (محاضرات فيديو) لـ أبي مصعب السوري.

حتى عام ٢٠١١ بدأت تؤثر نحو تغيير مسار هذه المراحل، إلا أن التنظيمات الجهادية كانت تسير على ما يبدو وفق خطط بديلة، فقد استطاع تنظيم الدولة الإسلامية في العراق تأسيس نواة قوية بقيادة أبي بكر البغدادي، وها هو اليوم يقود مفاصل خطيرة في الأحداث بسوريا.

أما تنظيم القاعدة، فيبدو دوره اليوم أقل مباشرة، خاصة بعد انقراض عقد (جبهة النصر) التي بايع أميرها (أبو محمد الجولاني) (أبمن الظواهري) زعيم القاعدة، ومع أن مخطط المراحل الخمس (كما يقول حذيفة عبد الله عزام) مستخلص من الأثر الشرعي والأحاديث النبوية التي تتكلم بصراحة عن بلاد الشام كـ «مركز» جهادي، وليس من مصلحة التنظيم الجهادي الأبرز في العالم أن يكون بعيداً عن بلاد الشام، إلا أن ذلك يحدث اليوم، وبات الظواهري بعيداً عن التأثير المباشر، مع حضور البغدادي في سوريا.

في المرحلة الرابعة والخامسة، الممتدتين من عام ٢٠١٠ وحتى ٢٠٢٠ فإن تأسيس نواة في بلاد الشام وحشد الأمة فيها هو بداية للاشتباك المباشر مع العدو لتحرير القدس وذلك بعد تعرية أنظمة الحكم التي تقود تلك البلاد، الحماية للكيان الصهيوني، بحسب منظري الجهاد دائماً.

رؤية قد يراها البعض مجرد أوام، فيما يذهب آخرون إلى أن الأمر منوط بنص سماوي لا فكاك منه.

وبكل الأحوال فإن التنظيمات الجهادية بمختلف صنوفها لا يمكن إنكار استفادتها من تجاربها السابقة من خلال البحث والتطوير، تجلّى هذا في دخول الشام أرض «النبوءات».

سوريا.. بوصفها جبهة مفتوحة

اليوم تقود التنظيمات الجهادية، وعلى رأسها «دولة الإسلام في العراق والشام» مشروع الوصول لخلافة راشدة في سوريا، بوصفها جبهة مفتوحة ضرب عدم الاستقرار فيها جذوره منذ اندلاع الاحتجاجات قبل عامين ونصف العام. وترى تلك التنظيمات، التي لا تخفي مآربها، أن

وللنجاح الأمني جوانب أخرى كانت من نتائج هذه السياسة الجديدة، وهو الحفاظ على الجهاد من افتضاح أمره في حال لم يكن يريد ذلك، فقد كان الشخص يسافر من دولته إلى الشيشان على سبيل المثال ويعود وكأنه لم يفعل شيئاً، كما أن للحيلة في هذه الحالة أوجه كثيرة أدت إلى انعدام وجود المشكلة الأمنية من أساسها.

أهم ما ميز الجهات المفتوحة أيضاً، وهو ما لم تشهده كل الطرق البالية السابقة، هو النجاح الدعوي الهائل على مستوى «الأمة»، حيث تعاطف المسلمون مع تلك التنظيمات في أماكنها المختلفة (أفغانستان الأولى والثانية، الشيشان، البوسنة والهرسك، العراق)، لهذا علاقة ربما بكون المجاهدين كانوا في الغالب يحاربون قوى احتلال.

المراحل الخمس

لعبت أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ دوراً مفصلياً في ما يمكن أن يسمى المرحلة الأولى من المخطط الجهادي الموضوع بدقة، وإن كانت الرؤى ما تزال حتى اليوم تختلف في تفاصيل ذلك اليوم والأسباب الحقيقية المؤدية إليه رغم اعتراف القاعدة بتنفيذه وظهور عدد كبير من المعلومات التي تحدثت باستفاضة عنه.

يرى منظرو الجهاد أن الجهاد يتطور إلى خمسة مراحل كان أولها ضرب أمريكا في عقر دارها (وجرها لاحقاً إلى «عقر دار» المسلمين) وهو ما حدث حقاً في العام ٢٠٠١ بعد غزو أفغانستان والإطاحة بحكومة طالبان، لدينا إذن تمثيل واقعي لفكرة الجهات المفتوحة التي اعتمدت، فبعد انتهاء أحداث البوسنة والهرسك بات المجاهدون بحاجة إلى جبهة مفتوحة أمنتها لهم أفغانستان لتكون خزاناً جديداً للمجاهدين.

أما المرحلة الثالثة فهي تقوم بحسب (أبي مصعب السوري) على حشد الطاقات وبناء القاعدة الصلبة في العراق للخلافة الأوضاع الأمنية في بلاد الشام (سوريا ولبنان) لتكون منطلقاً للهدف النهائي وهو فلسطين.

الأحداث السياسية المتصاعدة منذ عام ٢٠٠٥

جمال الجميلي

المتحولون الجدد



معارض سوري يرسم على الجدار

إسقاط المنظومة المفاهيمية والقيمية بكافة مستوياتها، وأنظمتها الذهنية والعملية، هو من مهام وأهداف الثورة وأولوياتها.

إن جزءاً من أزمة الثورة، يكمن في وجود هؤلاء المتحولين الجدد، القابلين للطبي والتفلسف والامتداد، والانفتاح والانغلاق، سريعي الانوجد في الأماكن التي من تتيح لهم شتم النظام دون الاقتراب من ماضيهم الشخصي، بتعقيدات علاقتهم به. إنهم ظاهرة تشويش وتضليل، يشككون نماذج من ثقافة بائدة، وحاملها من العقول البليدة، والمعارف الميتة، لذلك لا بد من طي هذه المرحلة، لأن كل تأخير وتأجيل سيعطل الحالة، ويعطل المسار السوي لتحويلات المجتمع المدني السوري، نحو وطن حر ودولة ديمقراطية عادلة.

إن ترك الساحة شاغرة للمتحولين الجدد، هو ممكن المشكلة. إن علاقة هؤلاء بالثورة علاقة عرضية ظرفية، فهم معنيون بأنفسهم والحفاظ على سرقاتهم ومصالحهم، في مرحلة ولائهم وتبعيتهم للنظام التسلطي القائم.

إن فك هذا التشابك والتواطؤ بين المتحولين الجدد، والعسكري- السياسي، على المستوى الداخلي، ضرورة ملحة، أما على المستوى الخارجي، فإن حالة التجهيز والتبيض من قبل القوى الإقليمية والدولية، لبعض المتحولين الجدد، يشكل حالة خطيرة على مسار الثورة، لذلك فإن كشفهم ومتابعتهم ومحاسبتهم، هو ضرورة موضوعية وأخلاقية، تحتاج إلى جهد وعمل ليس بالسهل ولكنه ليس بالمستحيل، ويتم ذلك بعودة التجمعات المدنية الشبابية (التنسيقيات)، وبتفعيل دورها واستعادة نشاطها، في تشكيل مقاومات اجتماعية مدنية، توضح وتكشف وتتابع، من أجل ابعاد النماذج السيئة والانتهازية عن المواقع، ونقاط التأثير في الثورة.

يبدو أن قدر الفاعلين الجدد (شباب الثورة

لا بد من الإشارة إلى إن العوامل الإقليمية والدولية، وسيطرة بعض التشكيلات والتيارات الدينية على مسار الثورة، ساهم في إحياء وانتاج الشكل السليبي والأكثر توحشاً لظاهرة المتحولين الجدد، وحرصاً على الدقة، وعدم إطلاق أحكام قيمة عامة على الجميع، لنا أن نقول إن الثورة مفتوحة للجميع، من أجل المشاركة في بناء وطن حر ومجتمع سوي. لكنني أتناول أشخاصاً أو فئات يعرفون أنفسهم، ويعرفهم المجتمع السوري، البعض منهم يتم تسويقه إقليمياً ودولياً، في السر والعلانية، وتسعى الفضائيات ليلاً ونهاراً على الترويج لهم وتلميعهم، تحت مسميات وشعارات مختلفة، لتأهيلهم لإدارة شؤون البلاد، بعد سقوط النظام القائم على كافة المستويات، السياسي منها والاقتصادي والتعليمي والقانوني والخدمي.

هذا «نخب أول» من المتحولين الجدد، يتم العمل عليه ودعمه من الأنظمة المحيطة، والدول المجاورة والبعيدة.

نوعاً ثانٍ من المتحولين الجدد، بعيداً عن الأضواء العامة والشاشات، يتسللون إلى المناصب المحلية، لإدارة شؤون الناس في مدينة أو بلدة، متخدين من الرابطة العائلية أو العشائرية أو الدينية، مداخلاً أو وسيلة للوصول إلى أهداف أو مكاسب شخصية، متوارين خلف شعارات ذات بعد ديني واضح، وعلاقات مع العسكري- السياسي. كل هذه الروابط تدعم تسلفهم وانتهازيتهم، للوصول إلى مواقع يحافظون فيها على مكاسبهم، وتحصيل ما يمكن من مكاسب جديدة.

انطلاقاً من تحليل نقدي جدي، لظاهرة بدأت تتمدد وتتجذر، في كثير من الأمكنة الهامة والمؤثرة في الثورة، لا بد من سير وكشف هذه الظاهرة والعمل على الحد منها، وإبعاد المتسللين والمتسلقين عن المراكز والإدارات الهامة والمؤثرة في تفعيل وتطوير الثورة.

إن إسقاط نظام العصابة أمر لا بد منه، ولكن

أحاول أن تكون هذه الورقة، إضاءة على ما يحتاج إلى الكشف أو التوضيح، أو قد تكون إشارة إلى ما فات قوله. عندما يكون الأمر يتعلق بتطورات وتحويلات جديدة مفاجئة وصادمة، لشخص، أو فئة، أو شريحة اجتماعية أو سياسية أو عسكرية، أو اقتصادية، فمن الطبيعي أن يترك هذا التحول عند البعض آثاره على مسيرة الثورة، بعد مرور ما يقارب ثلاثة أعوام. إن ما أريد التحدث عنه، هو «المتحولون» الجدد. هذه الفئة من الوصلين الذين يسبقون الجميع إلى الانقلاب والتحول من مكان إلى آخر حسب اتجاه الريح. تظهر بصمات هؤلاء المتحولين الجدد، في الفترات والمنعطفات الحرجة في مسار الثورة، منذ بدايتها نراهم في الداخل يتسللون إلى الأماكن والمواقع الهامة، للاستحواذ على العملية المدنية أو العسكرية، وكذلك نراهم في الخارج، بينون جسوراً من التملق والطاعة مع الدول الإقليمية، وبعض القوى الدولية، ومع تطور الثورة واستمرارها، ازداد عدد هؤلاء المتحولين

الجدد، مما جعلهم يشكلون إحدى الظواهر المعيقة لتقدم الثورة، وإنتاجها لقيم ومبادئ جديدة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، وكل أشكال الحياة الجديدة.

إنني أكتب هذه الكلمات، وأنا خائف وقلق بشأن كثيرين على الثورة، لفقدانها الكثير من بريقها وأهدافها الأولى، التي سعت إليها، في الحرية والديمقراطية، وبناء الدولة الحديثة، دولة الحق والقانون، لجميع مواطنيها.

لنبدأ في المقام الأول، بوضع أسس لمناقشة مفهوم «المتحولون الجدد»، في اتجاهين: فأولاً، هم نتاج نظام استبدادي أممي فاسد، متواجدون ضمن محدد سياسي أحادي المذهب والتوجه، وصلوا إلى أماكنهم ومراكزهم الاجتماعية والوظيفية، من خلال ولائهم وتبعيتهم لنظام العصابة، في مرحلة الدكتاتور أب والابن، وليس من خلال كفاءتهم أو نراهم.

يمارسون مهامهم الوظيفية على كافة المستويات، ضمن تجمعات (مؤسسات) وآليات بعيدة عن كل شفافية ومصداقية، ومنهجية علمية تخطيطية، أو التزام مهني أو أخلاقي من أي نوع.

ثانياً: الثقافة السائدة، الحاضرة في ممارستهم السلوكية. قيم الولاء والطاعة والنفاق، وإقصاء الآخر المتمرد على نعم السلطان أو القائد الملهم، ينتمون للرابطة العائلية أو العشائرية ويدعمونها، لتحقيق أغراضهم ومصالحهم، على حساب المجتمع ومن رصيده والدولة ومؤسستها، هي وسيلة هؤلاء لتحقيق مصالحهم، وتكريس نفوذهم..

فيما يتحول من تبقى من الحالمين والناشطين، إلى إغاثيين مبعثرين بين جمعيات خيرية في أماكن شتى، خاضعين لعطفها، يعملون ضمن آليات غير شفافة. وغياب كامل للمحاسبة.

بينما استطاع آخرون، بما يتمتعون به من حس متمرد، الخروج من النسج العنكبوتية التي تحاول أن تستخدمهم وتستأثر بجهودهم، ولكنهم حالات فردية، أو مجموعات قليلة مشتتة، تعمل مستقلة، محاولة رسم طريق جديد للعمل والنشاط الثوري، مما يعرضها للاعتقال والخطف والقتل، أو يضطرها للرحيل عن الوطن..

هنا يكمن الخطر، وهنا تتجلى أزمة الثورة: لقد ابتعد عنها الحالمون بها!

اعتراضي بصعوبة الميدان وتعقيداته وخطورته، لكنه طريقنا ولا بد من الاستمرار به، من خلال مقاومات مدنية، لها لغتها ومفرداتها وأدواتها الحية والجديدة، لبناء عالم جديد، والبحث عن أفكار جديدة فعالة تخلق قيماً وإمكانيات للمشاركة والعمل مع الآخر.

إن انتشار الظواهر السلبية والقبیحة، أمر لا مفر منه في كل ثورات العالم، و هذه حقيقة، ولكن أن تتراجع ثورة عن أهدافها وهي في بداية الطريق أو نصفه، وأن يتحول أغلب البادئين والناشطين والحالمين بالثورة، إلى جزر مبعثرة تفرغ في عشوائيات إعلامية تابعة (للعسكري- السياسي)، جزر أكثر من حاجة الثورة إليها، دون رسم سياسة واستراتيجية إعلامية واضحة، جعل المنظومة الإعلامية للثورة هشة وتابعة للأصوليات الدينية والحزبية العتيقة، وأدى إلى استغلال الظاهرة الإعلامية الوليدة.

الحالم الذي أطلق شرارة كل هذا) مع الثورة هو قدر سيزيف مع صخرته، فعليهم تقع مسؤولية إعادة الثورة إلى المجتمع، وإقامة شبكات تواصل وتداول، بمنطق وتفكير ديمقراطي جاد، يعيد للمجتمع علاقته بثورته وقيمها، مبتعدين عن الشعاراتية، والمفاهيم المسبقة، والتسميات الكبرى، والرموز البائدة، واللغة المستهلكة، فنورتنا ثورة وأفئدة شغوفة بالحرية والحياة والمستقبل، ليست ثورة «جهادية»، ولا هي تتطابق مع الإيدولوجيات السائدة. إنها ثورة حرية تخلق نفسها وقيمها دون وصاية أو نصوص مملاة أو تعليمات. إنها ثورة مجتمع على نفسه وقيمه وسلوكياته، ليست ثورة لأشخاص أو أبطال، أو إحياءً لماضٍ، ليست ثورة انتقام أو إقصاء. إنها ثورة حب وحرية وعدالة إنسانية.

هذا ما يجب أن يعمل عليه الفاعلون المحدد، المناضلون الحقيقيون، بالعودة إلى المجتمع، الميدان، والمعاش اليومي والممارسة والتواصل مع الآخر، مع



أي إسلام وأية دولة يريدون؟ عبد الله أمين الحلاق



لافتة في غوطة دمشق الشرقية

هنا، وطالما أن الصدام محتوم بين هذه الرؤية للبشر والعالم والحياة وكيفية حياة السوريين في ظل هكذا نظام وهكذا دولة، فإن الحق يسقط لحظة الوصول إليها. لهم الحق في الكلام والمطالبة فيها، ولهم الحق في العمل لأجلها، ولمخالفهم الحق في القول إنهم دولة شمولية تنذر بحزب بعث دستور القرآن والسنة «الصحيحة»، وليس المادة الثامنة من دستور سوريا هذه المرة. نتحدث هنا عن الدولة الإسلامية المدعو إلى تطبيقها وفق الفهم الحرفي للنص الديني، ولا نعني الحركات والقوى الإسلامية التي تتكلم عن تزواج بين المدنية والدولة وعلاقتها مع الإسلام، وهو فهم لا يقدم توضيحات بخصوص الديمقراطية ومشاركة الجميع في صناعة مستقبلهم وبناء بلدهم وعلاقة كل ذلك بالتشريع الديني والمقدس وعالم ما وراء الطبيعة.

يبقى هذا الكلام ضمن الإطار النظري اليوم، وسط كل تعقيدات وتشابكات المشهد السوري ودمويته، إلا أنه يبقى ضمن الكلام الضروري وفق رؤية شخصية لهذه المسألة.

يبقى مفيداً القول والتذكير بوجود نواة لإسلام متنور ومتصالح مع العصر ومتطلبات مجتمعاتنا وملحاحية دخولها الحداثة من باب اليوم لا الأمس، ووفق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المُنقَر عام ١٩٤٨، والنهضة والديمقراطية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهو حضور سابق لاندلاع الثورات العربية كلها. على هذا الإسلام، إسلام نصر حامد أبو زيد وأمثاله، أن يبنى ويُعقد العزم للحوار مع كل الأطراف بعد توقف العنف، بغض النظر عن متى سيتوقف العنف ومتى ستضع الحرب الدائرة في سوريا أوزارها.

يغيب عن ذهن الكثيرين أن صندوق الاقتراع هو أحد مظاهر التعبير عن الديمقراطية وليس اختزالاً لها، وهو شرط لازم وليس كافياً لهذه الديمقراطية، وأن صندوق الاقتراع الذي أوصل حركة حماس إلى السلطة عام ٢٠٠٦ لم يردعها عن التعامل مع المجتمع الفلسطيني بعقلية إخوانية، لنانحية الموقف من المرأة ومقاومة الحركة لما أسمته «ثقافة العري»، وغير ذلك مما يضمحل الإسلاميين رفضاً له، مختزنين ثقافات كراهة للحريات العامة والخاصة، فإذا ما قال صندوق الاقتراع كلمته، سَقَطَ قناع الوعود البراقة وتحوّل إلى صدام بين الإسلاميين من جهة وبين كل من هو غير إسلامي، بمن فيهم المسلمون غير الإسلاميين.

لكن ماذا عن الحق في المطالبة بالدولة الدينية؟ لكل رؤيته لمستقبل سوريا وشكل الدولة بعد رحيل الأسد. البعض يطالب بدولة علمانية والبعض يقول بدولة مدنية دون الحديث عن العلمانية، والبعض يتحدث عن الدولة المدنية غطاءً لمشروع إسلامي يرى توازماً بين الدولة المدنية والإسلام كتشريع صالح لكل زمان ومكان (شأن الإخوان المسلمين)، والبعض يطرح الدولة الإسلامية دون أي موارد سياسية وثقافية كالتى يمارسها الإخوان المسلمون السوريون.. ولكل الحق في الطرح طبعاً. الاستحقاق وسقوط هذا الحق يأتي عندما يصطدم الطرح على أرض الواقع بالصلحة السورية التي يفترض أن يجتمع عليها كل السوريين وفق دستور توافقي مقبل بعد الرحيل المأمول لبشار الأسد.

قطعاً لن يقبل كل السوريين بدولة إسلامية، وقطعاً أيضاً، سيقبل سوريون بدولة إسلامية لا تجر حرجاً في العودة القهقري إلى بداية الدعوة الإسلامية أو دولة الرسول محمد في يثرب. لكن،

على صفحته في فيسبوك، كتب الزميل والصديق محمد علي الأتاسي المنشور التالي:

«أنا مع ثورة الحرية والكرامة، أنا مع إسقاط نظام الأسد. أنا مع سيادة الشعب ومع الاحتكام إلى صندوق الاقتراع. أنا مع حق الآخرين في المطالبة بدولة إسلامية. أنا لا أريد دولة إسلامية في سورية».

أثار المنشور إياه سلسلة تعليقات عليه بين مؤيد ورافض، المعارضون له انطلقوا غالباً من الربط بين الدولة الإسلامية المفترضة وبين مصادر الحريات واحتمالات العودة إلى القمع ودولة استبدادية بغطاء ديني. والحال، أن هذا الاعتراض على كلام الأتاسي لا يخلو من وجهة، رغم أن علمانيون قد يهاجمون هذا الطرح بشكل مرّضي، لمجرد أنه قال بالحق لدى كل سوري بالمطالبة بالدولة الدينية التي تعبر عن رؤية شريحة من السوريين للحياة ولسوريا..

ينحاز كاتب هذه السطور إلى منشور علي الأتاسي مع بعض التحفظ، ومرد ذلك التحفظ هو في مقدار الترابط أو عدم الترابط بين الدولة الإسلامية واحترامها حقوق السوريين بأجمعهم، مسلمين وغير مسلمين. هذا ليس للقول باستحالة وجود دولة يحكمها تيار أو حزب إسلامي حكماً عصبياً أو متواتماً مع العصر، على الطريقة التركية مثلاً، أو باستحالة وجود أحزاب إسلامية ديمقراطية مستقبلاً على شاكلة الأحزاب الديمقراطية اليمينية المسيحية في أوروبا اليوم.

خاطئ هو ذلك التصور بوضع الدين والعلمانية على طرفي نقيض، ليس لأن الإسلام يقبل بالعلمانية (فهو لا يقبلها)، ولكن لأن العلمانية يجب أن تقبل الدين ووجوده وحضوره في حياة البشر وإلا تحولت إلى دين «جهادي» إغائي هي الأخرى، لكن، وإذا كان الفرز قائماً بين فسطاطين: الدين والعلمانية، فقد جاءت النتيجة بائسة ضد التجريتين، وفقاً لما عرفته مجتمعاتنا من نوازل شمولية رفعت العلمانية راية، ومن نكبات وعمل لخلق دولة دينية ترفع الرايات السوداء الجهادية أيضاً.

لم تصمد تجربة الإخوان المسلمين في مصر كثيراً، بل سقطت ضحية إشكالية خطاياها وعلاقتها بالديمقراطية والحريات، بعد أن انتفض الشعب المصري قبل انقلاب العسكر على مصر بأسرها. ولا يبدو أن الإخوان المسلمين في سوريا منسجمون مع ذاتهم ومع طرحهم وكلامهم عن الدولة المدنية الديمقراطية في سوريا بعد رحيل الأسد.

صورة الواقع.. وارتباطه بالثورة عقاب يحيى

ومفهوم، سابقاً، وبتصاعد مكثف عبر مسار الثورة، وإطالتها، ويتمها، وما عرفه الشعب من محن أليمة، إلا أن الثورة ظلت لأشهر سابقة محافظةً على روحها: الحرية والكرامة، والمساواة، وعلى مزاجية الكفاح السلمي مع العسكري. لكن وعبر تغول الاتجاهات المتشددة، المدعومة بعوامل كثيرة، وسيطرته على مظاهر الحياة في المناطق «الحررة»، وعلى الخطاب السائد، وعموم العمل العسكري، ضمرت شعارات الثورة، ونبئت بديلها أخرى إسلامية تتفاوت بين الدعوة لحكم إسلامي، وخلافة إسلامية، وبين نظريات وممارسات داعش وأخوانها، وأبناء عمومتهما. البعض يريد الاكتفاء بأن ذلك من صنعة النظام وحلفائه بالأساس، وكأن الإقرار بمثل هذه الحقيقة يكفي لمعالجة ظاهرة خطيرة تنهش الثورة، وتكاد تلتهم روحها، وهناك من يعتبر القصة برمته، لونها جهادياً موجهاً للنظام، ونجد من يدعو إلى السكوت على هذه الظواهر، بدعوى أن المعركة الرئيس مع النظام، وأن كل شيء يجب أن يؤجل إلى ما بعد إسقاطه، حتى وإن سيطرت تلك القوى تماماً، حتى وإن أقامت ممالكها المنتثرة في الأرض

ويقول أصحاب كثر، كانوا ضمن صفوف الثورة، وعديدهم تحمس لها بزخم عاطفي: أين هي الثورة اليوم؟ وكيف صارت أو تحولت؟ وتنهال تحليلات الخوف والنقد، وفي جعبة الإثبات كثير من وقائع يومية على ما يجري في الأرض من تصرفات لا علاقة لها بالثورة، وفي الذهن أفكار كثيرة معارضة لما يُطرح على لسان عديد القوى المالكة للسلاح، والتي تتسابق مع بعضها في نواياها الواضحة لتأسيس نواة الدولة الإسلامية، ورفض الديمقراطية التي يعتبرها بعضهم كفرةً، وزندقة، حيث «لا حكم إلا لله»، وحيث تنشق أفكار سيد قطب عن «الحاكمية لله» ومعه أستاذه أبو علا المودودي. وهناك من يعطي أرقاماً مخيفة عن انزياح فطيع في المحاضنة الشعبية باتجاه السلب والحيادية، أو «الترحم» على أيام النظام قبل الثورة، ناهيك عن فيض الكلام عن معاناة الناس في الداخل والنزوح، وفي اللجوء، وأنها لم تعد تحتل المزيد، وتتمنى إيقاف هذا الوضع المخيف بأي شكل، وعن طريق أي حل. الأکید، ورغم نمو الحالة الإيمانية بشكل منطقي

ومفهوم، سابقاً، وبتصاعد مكثف عبر مسار الثورة، وإطالتها، ويتمها، وما عرفه الشعب من محن أليمة، إلا أن الثورة ظلت لأشهر سابقة محافظةً على روحها: الحرية والكرامة، والمساواة، وعلى مزاجية الكفاح السلمي مع العسكري. لكن وعبر تغول الاتجاهات المتشددة، المدعومة بعوامل كثيرة، وسيطرته على مظاهر الحياة في المناطق «الحررة»، وعلى الخطاب السائد، وعموم العمل العسكري، ضمرت شعارات الثورة، ونبئت بديلها أخرى إسلامية تتفاوت بين الدعوة لحكم إسلامي، وخلافة إسلامية، وبين نظريات وممارسات داعش وأخوانها، وأبناء عمومتهما. البعض يريد الاكتفاء بأن ذلك من صنعة النظام وحلفائه بالأساس، وكأن الإقرار بمثل هذه الحقيقة يكفي لمعالجة ظاهرة خطيرة تنهش الثورة، وتكاد تلتهم روحها، وهناك من يعتبر القصة برمته، لونها جهادياً موجهاً للنظام، ونجد من يدعو إلى السكوت على هذه الظواهر، بدعوى أن المعركة الرئيس مع النظام، وأن كل شيء يجب أن يؤجل إلى ما بعد إسقاطه، حتى وإن سيطرت تلك القوى تماماً، حتى وإن أقامت ممالكها المنتثرة في الأرض

عسكر حرامية ٢ الطابور الخامس

العقيد منصور العقابي

*ضابط منشق

نشأ هذا التعبير أثناء الحرب الأهلية الإسبانية التي نشبت عام ١٩٣٦م، وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال كيبو كيلانو أحد قادة قوات فرانكو الزاحفة على مدريد، وكانت تتكون من أربعة طوابير. فقال حينها: «إن هناك طابوراً خامساً يقاتل معنا داخل مدريد»، ويقصد الجواسيس والعملاء والمؤيدين ومن لفت لفهم، وهؤلاء في واقع الأمر أكثر خطورةً وتأثيراً على العدو، ذلك أن مايقومون به من ترويع للإشاعات المغرضة، وزرع الفتن واليأس في نفوس الناس، وأحياناً القيام بأعمال عسكرية خلف خطوط العدو، تجعل منهم قوة فعالة ذات تأثير كبير على معنويات العدو وتماسكه، وأحد عوامل الانتصار المهمة في أية معركة. سيشهد التاريخ أن أكثر من استعمل واعتمد على الطابور الخامس بنجته ودهاء وفعالية قل نظيرها في معركته ضد شعبه، هو النظام السوري. وللأسف أستطيع أن أقول وبحسرة؛ أنه إلى هذه اللحظة نجح وينجح نجاحاً باهراً في ذلك،



شبيحة في درعا

وهذا ما يطيل عمره، ويجعله يتغول أكثر فأكثر. وللأسف مرة أخرى وبمرارة، نحن من يساعده في ذلك، ونجعل من أنفسنا إحدى أدواته الفعالة، تارةً بغيائنا وجهلنا وتهورنا، وتارةً أخرى بعواطفنا واندفاعنا وأنانيتنا وعدم التدقيق وحساب خطواتنا بشكل صحيح، فنقع في مصيدة النظام من حيث ندرى أو لاندري! فكل عمل أو كلام أو تصرف لا يخدم الثورة بشكل أو بآخر، وعلى كافة المستويات، ويصب في مصلحة النظام ويؤدي إلى التشرذم والتفرقة والمهاترات والتشكيك

والتخوين والإحباط واليأس، ويجرف الاتجاه الصحيح لبوصلتنا في اسقاط النظام، هو عمل وكلام وتصرف مشكوك به، مهما كان مصدره، ولا حجة أومبرر وتحت أي مسمى لأحد في هذه المرحلة الصعبة والمهمة من تاريخ ثورتنا مهما كان، فلنترك المهم إلى أن ننجز الأهم ونتنصر، وعندها نتفرغ لفتح كافة الملفات، وسيحاسب كل من أساء لثورتنا بقصد أو بدون قصد فالغباء والتهور واللامسؤولية هي بحكم الخيانة بشكل أو بآخر.

الريف والمدني في الثورة ماجد كيالي



مظاهرة في الريف السوري

وإدلب وبانياس وتلبسة، وكلها من المناطق الساخنة، مجرد أرياف، إذ إن معظم الأنشطة الاقتصادية فيها يقوم على السياحة والتجارة والخدمات والبناء. أيضاً، لا يمكن اعتبار مدينة درعا التي أشعلت الثورة، مجرد بلدة ريفية، ولا التظاهرات والاعتصامات العارمة والتي جذبت مئات الألوف في مدينتي حماه وحمص في الأشهر الأولى، حركات ريفية.

أما في دمشق، فيجدر التذكير بالتظاهرات التي كانت ترمع أحياء الميدان وبرزة والمزة وداريا وكفرسوسة والقابون وجوبر ودوما والزبداني، وفي الأحياء العشوائية في الحجر الأسود والتقدم والتضامن.

هذا لا يقلل من أهمية مشاركة الأرياف في الثورة لكنه يؤكد طابعها العمومي، مع تأكيد وجود فئات أو جماعات لم تشارك فيها، أو تخوفت منها. ومع الاعتراف بمسؤولية الثورة عن هذا وذاك، بسبب عفويتها ومشكلاتها وعدم توضيحها لذاتها، فإن هذين، أي عدم المشاركة والتخوف، ينبعان من السياسات التي انتهجها النظام طوال العقود السابقة، لا سيما لجهة تطبيقه المجتمع، ووضع جماعاته في مواجهة بعضها، مع تحريمه النشاط السياسي، وإشاعته الخوف.

وبدبهي أن كل ذلك تفاقم، بعد الثورة، مع خشية بعض الجماعات من رد فعل النظام، القائم على القتل والتدمير. هكذا اشتغل النظام هنا، أيضاً، بدأب على إزاحة الثورة ودفعها «من المدينة إلى الأرياف.. ومن المجتمع المدني إلى المجتمع الأهلي»، على ما لاحظ يوسف فخر الدين في مادته «الجيش الحر» بين الريفية والتمدني («الحياة»، ٢٠١٣/١/٧)، والتي تحدث فيها عن إشكاليات تغليب الطابع الريفي للثورة على طابعها المدني.

والقصد أن هذه ثورة العموم، رغم كل مشكلاتها، كونها ثورة ضد الاستبداد. أما المشاركة المتفاوتة لهذه القرية أو تلك، وهذه المدينة أو تلك، فأسبابها تنبع من مشكلات أخرى عديدة ومتباينة، ضمنها سعي النظام إلى عزل الثورة وإضعافها، وإبعادها عن مراكز قوته في المدن.

عقود، اشتغل النظام على تغيير سورية، وهو لم يفعل ذلك فقط بتغيير التركيبة الاجتماعية للجيش، والمفاصل الأساسية لأجهزة الدولة، وإنما، أيضاً، بتغيير الطابع الطبقي للمجتمع، عبر سياسات التأميم، ومصادرة الأراضي، وتوزيع النفوذ وشراء الولاءات؛ بحيث باتت المكانة الطبقيّة مشروطة بالقرب من النظام. هكذا لم تعد البرجوازية، ولا الطبقة الوسطى، هي ذاتها التي كانت في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات. وهذا ينطبق على ملاك الأراضي، في وضع بات فيه معظمها ذو القيمة العقارية العالية، لا سيما في جوار المدن، في أيدي رجالات النظام أو أتباعه.

وفوق ذلك، قام النظام بإحداث تغيير وإزاحة ديموغرافيتين في المدن الرئيسية، لا سيما دمشق وجوارها، لزوم تضخم وتغول الأجهزة الأمنية (الجيش وأجهزة المخابرات)، وفقاً لسياساته السلطوية ذات المنحى الطائفي. ونشأت عن ذلك مدن عشوائية مغلقة، و«مسورة»، ذات طابع خاص، على أطراف دمشق وفي قلبها، في السومرية وحي نسرين وضاحية الأسد، وفي مرتفعات المزة ودمر وقاسيون وبرزة وغيرها. في مقابل ذلك اضطررت قطاعات مدنيّة واسعة للنزوح إلى الضواحي، لأسباب متعددة، منها ارتفاع ثمن العقارات داخل المدينة، بعد أن باتت سكناً لأصحاب السلطة، أو للنأي بأنفسهم عن مقار الأجهزة الأمنية التي عشعشت في تلك الأحياء.

إذاً لا يمكن احتساب سكان الضواحي أو أطراف المدن على الريف، لأنهم نازحون من أحياء المدينة. فضلاً عن ذلك، فمعظم الريف السوري تمدّن، بواقع هيمنة العلاقات الرأسمالية فيه، وبحكم قربه من المدن، وتفاعله مع الحياة المدنيّة. هكذا، إذا كانت مقولة تريف المدن السورية صحيحة، فالحديث عن تمدّن الريف يغدو صحيحاً، بالمقدار ذاته، ففي الحالتين هي أزمة في التمدن والحداثة في سورية، في ظلّ النظام السياسي والاقتصادي والثقافي المتأسس على الاستبداد.

لذلك لا يمكن اعتبار الزبداني ودوما (تبعدان نحو ٥٠ كلم عن دمشق)، ومدن الرستن والمعرّة

ما زالت الثورة السورية تثير الأسئلة وتطرح القضايا، وتولد التناقضات والانشقاقات، وتكشف التدخلات الخارجية التي غدت بمثابة لاعب رئيس، في أوضاع السوريين. هكذا حظيت باهتمام الكتاب والباحثين بتغطية أسبابها ومشكلاتها وتحدياتها. لكن المشكلة ظلت تكمن في نقص «الدراسات الاجتماعية للتركيبة الأهلية السورية»، وهي ملاحظة مهمة أبقاها الزميل حسام عيتاني في مادته «داعش والعشائر في أصل الظاهرة».

ومع أن المادة المذكورة تحدثت عن «داعش»، وعلاقتها بالبنية القبليّة في الشمال السوري، إلا أنها طرحت، أيضاً، مشكلة «النقص في المعطيات الاجتماعية والسكانية للواقع السوري، في الأعوام العشرين الماضية»، والتي قد تفسّر «أسباب الاستعصاء.. وصعود الانتماآت والهويات الجزئية». ولما كنت في مادتي السابقة (محاولة في تفسير صعود «النصرة» و«داعش») قدّمت بعضاً من الإجابة عن السؤال المتعلق بهذه الظاهرة، فهذا الحديث سيركّز على الحاضنة الشعبية، أو ثنائية الريفي والمدني، في الثورة.

معلوم أن الاختلاف حول الثورة شمل تحديد طابعها الاجتماعي، فكما برزت وجهات نظر تعتبرها مجرد مؤامرة خارجية، أو صراع طوائف، ثمة وجهة نظر رأت فيها مجرد تمرد أرياف ضد مدن، وريفيين ضد مدنيين، لا ثورة سياسية ضد نظام استبدادي، وهو توصيف ينطوي على تسرع وتبسيط، وعلى شبهات سياسية، ضمنها التشكيك بمشروعية تمثيل الثورة بمجمل السوريين، بحصرها في الأرياف، والخطّ من مكائنها وقيمتها، بإنكار تعبيرها عن أزمة وطنية عامة.

لا شكّ في أن دراسة المجتمع السوري تحتاج إلى بحوث علمية موسّعة، مع ذلك يجدر التنويه هنا ببضع حقائق، ضمنها أن غالبية السوريين تتركز في المدن، وأن نسبة العاملين في الزراعة تبلغ حوالي ٢٠٪ فقط (وفق التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١١). وحتى هذه النسبة قد تكون أقل، لأن جزءاً من هؤلاء لا يتفرغون للأعمال الزراعية إلا في المواسم، كونهم يشتغلون في المدن، وهذه ظاهرة معروفة في سورية، خصوصاً أننا نتحدث عن بلد مساحته صغيرة، ويعجّ بالمدن والأرياف المتمدنية، إذا تجاوزنا المنطقة الشرقية وهي منطقة صحراوية في غالبيتها.

ويجدر لفت الانتباه تحديداً إلى أن المجتمع السوري تعرّض لتغيّرات نوعية كبيرة، أملتتها طبيعة السلطة الحاكمة وسياساتها، أي أنها لم تحصل بطريقة عفوية وطبيعية وتدرجية. فخلال أكثر من أربعة

الاغتراب.. الصوغ النفسي للامتني

جنان علي



بوابة على الحدود السورية التركية

انعدام العلاقات الإنسانية، لأن الفرد في حقيقة الأمر لا يختبر نفسه كجزء أصلي ومصدر فعال لإغناء الحياة، وإنما كشيء مجرد وفاقد لخصوصيته وفعاليته، معتمداً على القوى الخارجية عنه، بالنسبة لما خطط له بأنه مادة وجوهر حيوي وأساسي لحياته.

ويرى (فروم)، بأن هنالك أنماطاً للاغتراب، تتمثل في الاغتراب عن الذات والآخرين والمجتمع، حيث أن الاغتراب عن الذات يشكل أهم صور الاغتراب عند (فروم)، وهو يعني انفصال الفرد عن ذاته؛ بحيث يعيش ذاته كشيء غريب عنه، وهذا يعني إخفاقه في تكوين ذاته الأصيلة، ويرى بأن الفرد الذي يحقق ذاته الأصيلة هو الذي لا يعاني من اغتراب الذات، والذي يتمتع بهوية فريدة وغير قابلة للتكرار، وله القدرة على الإحساس والخلق والإبداع، ويكون حقاً مُصدراً لأفكاره وتجاربه وقراراته.

وبهذا يكون (فروم) قد ميز بين الذات الأصيلة، والذات الزائفة، على أساس أن (الذات الأصيلة ترادف مفهوم الذات غير المغترية، التي حققت وجودها الإنساني المتكامل، فصاحبها مفكر وقادر على العطاء والإبداع، أما الذات الزائفة، فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وعن وجودها الإنساني الأصيل).

ويرى (فروم) بأن الاغتراب أو الانفصال عن الآخرين هو الشرط الضروري لأكثر العلاقات الإنسانية تراء، وأن من يعي انفصاله عن الآخرين، هو الذي بإمكانه أن يقيم روابط أكثر عمقاً وارتقاءً، لتحل محل الروابط القديمة والتي تنظمها الغرائز.

أما فيما يتعلق بالاغتراب عن المجتمع، فهنا يلتقي (فروم) مع ما ذهب إليه (ماركس) حيث أنهم: «يعززون الاغتراب إلى الهيكل الاقتصادي والسياسي المعاصر، وأن الاغتراب أنثر تتركه الرأسمالية على الفرد، وأن قهر الاغتراب إنما يكون عن طريق إجراء

العالمية، إلى الشعور القوي بالفردية والذاتية، تعد أساساً جوهرياً لكل المسائل الروحية، وهذه تقود بالنتيجة إلى شعور واقعي حقيقي للاغتراب النفسي من الأشياء الداخلية الفطرية إلى نهاية التنافر والتنازع، وهذا ما يجسد في حقيقة الأمر الاغتراب كإفصال، وهو ينشأ نتيجة ظروف تاريخية بالغة السوء، ويتميز أساساً بالوحدة وفقدان الحرية.

أما الاغتراب كمحيط؛ فهذا يتأتى من حركة النمو الإنساني وتطورها المتمثل بالاستقلالية من الالتزامات الاجتماعية وقوانينها، وما تؤدي إليه هذه الاستقلالية من غربة على الصعيد الروحي.

ويرى (هيغل) أنه ليس من الحتمي أن ينشأ عبر مسار حياة الفرد وعي متميز بذاته، فمن المؤلف بالنسبة للناس أن يفكروا في أنفسهم من خلال الأدوار التي يمارسون بها، والجماعات التي ينتمون إليها. إن علاقات الأفراد بالبنية الاجتماعية هي علاقة وحدة كاملة وفورية.

أما اغتراب الذات؛ فينظر إليه (هيغل) باعتباره النتيجة التي تلزم عن اغتراب البنية الاجتماعية، مما يعني أن اغتراب الذات هو المصاحب لاغتراب البنية الاجتماعية، فحينما يشعر المرء أن البنية الاجتماعية بالنسبة له شيءٍ آخر (ينشأ في الوعي عدم تطابق بين الذات والبنية، وعندئذ يغرب الفرد نفسه عن طبيعته الجوهرية ويصل إلى أقصى درجات التنافر مع ذاته).

ويقول (سارتر) في كتابه (الوجود والعدم): «قدراتي لا خصائصي، المفروضة علي، هي التي تحدد وجودي، إلا أن الآخر في نظرته إلي لا يرى إلا هذه الخصائص. وهو إذ ينظر إلي على هذا النحو فيأني أبدو له كموضوع لا كذات حرة، حقاً إنني -ولا أزال- قدراتي، ولكن في الوقت نفسه فإن هذه النظرة تؤدي إلى تغريب قدراتي عني». (خليفه، ص ٥٢، ٢٧).

يعتبر (فروم) الاغتراب نتيجة لزيادة أو تعمق

كان لانزياح الثقافات وتحول الطبقات الاجتماعية في العالم، بشكل مفاجئ أنثر يرتسم على شعوب هذه الثقافات، وفي الغالب يكون الأثر نفسياً بطابعه، فهذه التحولات الاجتماعية تتطلب تحولاً بالبنية النفسية بشكل حتمي لتواكب سيرورة المجتمعات، لذلك كان للاضطراب النفسي النصيب الأكبر مع كل تغيير في بنية المجتمع، حيث يشكل التغيير عثرة أمام تحولات وطموحات بعض الأفراد، مما يسبب الإحباط، الاكتئاب، والأغلب.. الاغتراب النفسي.

وهنا، من واقع بات انزياحاً طويلاً الأمد، كما الواقع السوري، لم يقف الأمر عند تغيب حتمي بل تعداه ليأخذ كينونة تغرب الحال السوري، وتشتتاً في البنية النفسية كنتيجة لسابقتها الاجتماعية. وعليه؛ لم يأخذ واقعا الجديد (انزياحنا) شكلاً محددًا، ولم يكن لهذا التشتت إلا حالة من اللاتمام المكاني والنفسي.

فهل للاغتراب صوغٌ فلسفي سيكولوجي يصف تمتك الواقع بأفراده، وتصادم الفرد مع ذاته للبحث عن سبيلٍ للتأقلم والمضي بما جدّ في مجتمعه؟ سنتطرق في بحثنا عن وجهات نظر فلسفية وأخرى سيكولوجية، ترصد ماهية الاغتراب من حيث كونه آلية عملٍ مجتمعي.

لقد استخدم (هيغل) مفهوم الاغتراب استخداماً ذا طابع مزدوج، أي استخدمه كإشارة إلى سلب المعرفة وسلب الحرية، وكان (هيغل) أول من استخدم المفهوم بهذا المعنى المزدوج، وذلك عندما أشار إلى أنه «عندما يكبح الوعي الذاتي ملاذ ولا يبالي به، يكشف عن الحرية البسيطة لذاته، فالروح المغترية هي التي يكون وعيها ذا طبيعة منقسمة ومزدوجة، ومجرد كائن متضاد».

ويرى (هيغل)، أن الاغتراب هو عملية واحدة يفقد فيها الإنسان جزءاً من ذاته في الوجود الخارجي، وفي هذا الفقد، إما أن تعثر الذات على نفسها في العالم الذي أنتجته فتتكامل مع ذاتها، وإما أن يكون العالم الذي أنتجته الذات غريباً عليها، ولا ينتمي لها، ويقف عدواً لها، فيحدث الاغتراب.

وهناك من المنظرين من يحصرون دراسة ظاهرة الاغتراب ومناقشتها من خلال نظريتين أساسيتين، وهما الاغتراب كإفصال، والاضطراب كمحيط، ويعتبر (Schiller) من الذين تصدوا للنظرية الأولى، أي الاغتراب كإفصال في كتاباته، أما النظرية الثانية فنجدتها في اتفاقات فلاسفة الاجتماع. (النوري، ص ٢٨٣، ٢٦٥).

إن مناقشات (هيغل) الاستبطانية لحركة الكيان الإنساني، من الشعور غير الناضج للعمومية أو

الاجتماعية، وبما تحمله من نظم وأعراف وتقاليدها، وبكل تناقضاته مما قد يؤدي إلى طمس الذات الحقيقية للفرد، بحيث يكون غير قادر على إيجاد الأنشطة والفعاليات التي تكافئ قدراته وإمكاناته وهذا قد يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا عن ذاته ويفقد صلته الحقيقية بذاته وقد يرفض كل ما يحيط به وكذلك قد يصاحبه الشعور بالضيق والتبرم لكل ما هو قائم حوله.

التشويش: Reification

ويُقصد به أن الفرد يعامل كما لو كان شيئاً، وأنه قد تحول إلى موضوع وفقد هويته التي هي بمثابة مركز إنسانيته وذاته، وهذا يعني وصول الفرد إلى مرحلة يكون فيها شيئاً، أي تذوب ماهيته الذاتية وسط الأشياء المحيطة به وتمحى معالم إنسانيته.

(الأهواني، ص ٤٤، ٤٨)

ولما لهذه الأبعاد من تداخل في ما بينها، نكاد لانفرد حدود هذه الأبعاد وأين ينتهي أحدها لبيد الآخر، فلذلك تنداعى جميعها لتشكّل ما يسمى بالاغتراب النفسي.

وعلى ماسبق ذكره، يتبين لنا مدى أهمية ما قد مررنا به على هيكلة النفس كاشخاص خاضعين لأطر اجتماعية متقلبة وغير ثابتة البنية، فالإلتزام لا يظهر في الناحية النفسية لدينا فقط، بل في تغربنا نحن كسوريين، ولم أشر هنا للتغرب على أنه منفى أو غربة الوطن وإنما على تغرب الفرد عن ذاته أولاً وانفصاله عنها، وتغربه عن واقعه رغم كثافة تماسه بهذا الواقع.

١. اسكندر، نبيل رمزي (١٩٨٩). الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٢. الاهواني، هاني حسن (١٩٨٨). دراسة لبعض المظاهر النفسية للاغتراب لدى الشباب الجامعي. النوري، قيس (١٩٧٩). الاغتراب: اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً. عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العاشر.

٤. حماد، حسن محمد (١٩٩٥). الاغتراب عند أريك فروم. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

٥. خليفة، عبد اللطيف محمد (٢٠٠٣). دراسات في سيكولوجية الاغتراب. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

«توقع الفرد أنه لا يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحاً لديه ما يجب أن يؤمن به أو يثق فيه، وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم به، وما يتخذه من قرارات». (خليفة، ص ١٧٤: ٢٧٠).

ويتطور هذا المفهوم في شكل نظرية نفسية عند فرانكل (Frankl، ١٩٧٢) والتي تقوم على أساس أن حياة الفرد، تتمركز حول إرادة المعنى، والتي من خلالها يحقق الفرد المعنى والجدوى والهدف من الحياة، حيث يرى (فرانكل) أنه «إذا غاب عن الإنسان الإحساس بمعنى الحياة، فإنه يخبر الفراغ الوجودي، والذي يعني أن الحياة أصبحت رتيبة مملّة، وأنها تسير بغير معنى أو هدف». (اسكندر، ص ٩٦، ٢٤).

العزلة الاجتماعية: Social Isolation

وتشير جوليا كريستيفا (J. Kristeva، ١٩٩٧) إلى أن «الفرد المغترب هو الذي لا ينتمي إلى أحد المجموع، ولا يشكل جزءاً من المجموعة، والذي غالباً ما يكون تركيزه متعلقاً فقط، بالجوانب والدوافع السلبية التي تمثل الاغتراب». (حماد، ص ١٤٧، ١٠٤).

اللامعيارية (الأنومية): Normlessness

ومما تجدر الإشارة إليه هنا؛ أن المغترب ليس فاقداً للقيم، وإنما لديه منها ما يتناقض مع قيم وأعراف المجتمع، وأنه كلما ازدادت درجة وحدة هذا التناقض، بين ما يدركه الفرد على أنها قيم مهمة وضرورية بالنسبة إليه، وما يدركه من قيم الآخرين، زاد تبعاً لذلك إحساسه بالاغتراب.

ويمكن التعبير عنها بأنها نوع من الإحساس بالإقصاء والرفض كنعيقض للقبول الاجتماعي، وهو بالتالي شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقار إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن كان بينهم، وقد يكون هذا مصحوباً بالشعور بالرفض الاجتماعي والانزغال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، وهذا قد يؤدي بالنتيجة إلى البعد بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييرها. وهذا الأمر قد يقصي الفرد عن المشاركة في الفعاليات الاجتماعية، وشعوره بعدم الانتماء فيولد لديه كراهية لقيم المجتمع، مما يدفعه لتبني أفكار ومعايير مخالفة لأعراف ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه. ويرى بعض الباحثين في ذلك نوعاً من الانفصال عن المجتمع وثقافته.

الاغتراب عن الذات:

هذا النوع من الاغتراب يتمثل في انفصال الفرد عن ذاته وعدم التطابق معها، أي أنه يخلق ذاتاً غير حقيقية نتيجة لتأثيرات الضغوط

التغيرات في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية». (حماد، ص ١٨٩، ١٩٢).

وعني (مارتن هيدجر) في بحثه بما سماه السقوط، حيث يكون تصرف الفرد متسماً ب (الإمعة)، ويصبح في النهاية مجرد نسخة من كائن بلا اسم هو الناس، يقول (هيدجر) في وصف هذا النوع من الاغتراب: «هو يفعل كما يفعل الناس، ويقاس الأمور بمقياس الناس ناسياً وجوده الحق، أو غير مدرك له في خضم حياته العادية واهتماماته اليومية، وفي ذلك يتجلى معنى السقوط».

أما إميل دوركهايم (Durkheim, E) فقد تناول مفهوم الاغتراب في سياق تحليله لما سماه بظاهرة (الأنومي)، أو تحلل المعايير، حيث أنه يعتقد بأن «سعادة الانسان لا يمكن تحقيقها بشكل تام ما لم تكن حاجات الفرد متناسبة أومتوازنة مع الوسائل التي يمتلكها لإشباعها، ويؤكد بأن الحضارة الصناعية التي تسير بخطوات سريعة تعاني من مرض (الأنومي)، أو فقدان المعايير». (النوري، ص ٤٥، ٤٩).

نرى من خلال الأفكار التي قمنا بطرحها، أن علاقة الفرد بالمجتمع علاقة تكاليف، لا تخلو من التناسب، فأى تحرك على صعيد الجماعة يتبع بأثر نفسي يطفو على السطح، ويبدأ بالتكثف كشريحة جديدة يتضمنها المجتمع في كينونته الحالية.

هنا، وبعد التطرق لمفهوم الاغتراب بمهيمته السيكولوجية الفلسفية، وأثر البنية الاجتماعية على تغرب الفرد، أصبح بإمكاننا البحث في أبعاد هذه اللازمة الاجتماعية، كنتيجة للتحولات المرهونة بالحاضر السوري.

أبعاد الاغتراب:

العجز: Powerlessness

إن جوهر العجز عند الفرد يتأتى أساساً من توقعه أنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، وهذا يعود إلى أن الأشياء التي تحيط به، تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه ومن إرادته، وقد عرف (النكلاوي، ١٩٨٩) هذا البعد إجرائياً بأنه «الحالة التي يصبح فيها الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد، يتوقعون مقدماً أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أو مخرجات من خلال سلوكهم أو فعاليتهم الخاصة. أي بمعنى أنهم يستشعرون افتقار القدرة على التحكم في مخرجات هذا السياق وتوجيهها، الأمر الذي يولد خبرة الشعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التأثير في متغيرات هذا السياق والقوى المسيطرة عليه».

اللامعنى: Meaninglessness

ويعرف (سيمان، ١٩٥٩) هذا البعد بأنه

الفن السوري في عهد البعث، صناعة ممنهجة

جوان بهلوي



من أجواء تصوير أغنية هذا جيش الوطن

سياسة النظام في إقصاء المبدعين، الذين لا يستظلون بشجرته، ولا يقبلون التحول إلى أboat الذي كان من نجوم سوريا اللامعين، فقد مثل دور البطولة في العديد من الأعمال الراسخة في ذاكرة السوريين، حيث لم يكن النظام راضياً عنه، لأنه ليس من الطينة التي يجب، فقام عبر شركات الإنتاج، التي هي من صنعها، بتغيب حمدي عن الشاشة، لمدة تتجاوز الثلاث سنوات، حتى دخل طور النسيان، وعمل على إفلاسه، رغم أنه من المنتجين الذين ساهموا بشكل كبير في تطور الدراما السورية، ولم يعد للشاشة إلا بعد إعلانه على الملأ أنه بات مهدداً بالاختيار الاقتصادي، فعاد إلى الظهور في بعض الأعمال كضيف شرف، ووافته المنية أثناء الثورة حزناً على سوريا.

هيمن النظام على الفن، فأوجد مؤسسات فنية عديدة، ولى عليها رجاله بشكل مباشر، فبعد شركة «شام» التابعة لخدام نائب الرئيس السوري السابق، والتي تولت إنتاج أعمال تمجد النظام، وتسيدت السوق الدرامي السوري لفترة طويلة، سلم قيادة التشبيح الفني لشركة «سوريا الدولية» التابعة لمحمد حمشو وقناة الدنيا سابقاً، سما حالياً.

غد مختلف

رغم كل ما بذله النظام السوري، في محاولة استمالة الفن السوري إلى طرفه، إلا أن تأثير القلة من الفنانين الشرفاء، الذين مالوا إلى الثورة، كان كبيراً في مسار الثورة، وحينما يزول النظام سيعود الفن السوري ناصعاً كما كان، من أجل سوريا الوطن، وليس من أجل سوريا النظام.

منذ بدايته واستمر إلى ما بعد الثورة، وحاول لاحقاً تهميش دور شريكه، على مبدأ أنه ليس من الراكضين لإرضائه، وهذا ما توضح جلياً في تكريم الأسد الأب لدريد لحام منفرداً، متناسياً أن نجاحه لم يكن إلا بمشاركة من الصديق قلعي، ليس هذا فحسب، بل هناك من يقول، إن قلعي تعرّض لأكثر بكثير من هذا الموقف، حيث غيَّب قسراً لفترة طويلة عن العمل.

سياسة الإقصاء

لم تتوقف سياسة نظام الأسد عند الثنائي لحام وقلعي، بل استمرت طوال حكم الأسد، حيث تعامل مع الفنان سميح شقير كما نهاد، شقير الذي يقدم فناً راقياً، كان شبه مغيب، بل مغيباً بشكل كامل عن الشاشات السورية، والمسارح والمهرجانات، فبينما كان يعيش ببساطة في منزله المتواضع في السويداء، كان نجوم الفن، ونجمات الاستعراض يردحن بأصواتهن النشاز أمام الآلاف، ممن لا يعون كيف يفرض عليهم صوت دون آخر.

شقير) مختلف

وظل شقير مهمشاً، لأنه كان من القلة الذين يغنون للوطن وليس للنظام، والوحيد الذي إن غنى، اكتفى بالإنشاد لسوريا والجولان وفلسطين، بل وكردستان أيضاً، يمتلك صوتاً مميزاً، ونغماً حقيقياً، وليس صوتاً وضيعاً يردح من أجل الدولارات، أو رضوخاً لأصحاب الكراسي.

عند انطلاق الثورة السورية، استمر شقير في الغناء للوطن، فغنى «يا حيف»، وعند غنائها، لم يكن بمقدور النظام السوري منعه من الوصول إلى قلوب جميع السوريين، ولم يستطع هذه المرة أن يمارس سياسته المفضلة، في إسماع السوريين لأغانٍ معلبة، وفنٍ مطبوخ على مذاقه الخاص.

يدرك أي نظامٍ سياسي يطمح للبقاء في السلطة، والتربع على عرشها لسنوات طويلة، مدى أهمية الفن والفنانين في مسيرته التحكيمية، فالفن سواءً كان غناءً أو سينما أو مسرحاً، أو حتى الدراما التلفزيونية، يسهم بفعالية بتكوين الرأي العام، سيما البسطاء والعامه، الذين هم نواة أية دولة، ويحدث تأثيراً بالغاً على الفكر المتنامي لديهم، وذلك وسط غياب وسائل الإعلام الأخرى من صحافة حرة، ووسائل التواصل الاجتماعي، التي لم تكن موجودة إبان حكم البعث منذ بدايته، ولم تظهر إلا في السنوات الأخيرة، وتعزز دورها مع بداية الثورة السورية.

الفنانون والثورة

عند انطلاق الثورة، اعتقد بعض الفنانين أنّ الأمر سيكون مشابهاً لما حدث في مصر، من جميع النواحي، ومنها الناحية الفنية، واعتقدوا أن الصوت الفني سيكون لزاماً مع الشعب لأنهم منهم، ولأنهم يأخذون نجويتهم وأموالهم منه، من وراء تنصيب هذا الجمهور البسيط لهم كنجوم للشاشة، ولكن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث، فالنسبة الكبيرة من نجوم الغناء والشاشة الصغيرة، وقفت موقفاً واضحاً في صف النظام، ومنهم من فضّل الصمت، للخروج من كل المأزق، بينما نسبة ضئيلة من الفنانين تجرأت ورفعت صوتها عالياً، إلى جانب هدير المتظاهرين والمطالبين بدعم أبناء درعا، والمضني قداماً حتى إسقاط النظام.

ولكن كفة الوسط الفني رجحت لصالح النظام، وهذا ليس غريباً، إذا علمنا أن النظام السوري منذ تكوينه، أدرك مدى أهمية هذه الفئة، وحاول صنعها في قلبه الخاص، ونجح في ذلك لدرجة كبيرة، فكانت مواقف أغلب الفنانين مخزية، نطقت بلسان النظام، الذي حصد هنا ما زرعه على مدى سنين طويلة، وفق خططٍ مدروسة.

«خيار وفقوس» النظام

إذا عدنا إلى بدايات انطلاق الدراما السورية، نجد أنها حققت شعبية جارفة في الوسط السوري والعربي، وكان من أبرز أعمدتها الثنائي الذهبي، دريد لحام ونهاد قلعي، هذا الثنائي يمثل تماماً سياسة النظام السوري، وتساوي مكوناته في الإبداع والنجاح، وبإمكاننا القول أيضاً، إن قلعي تفوّق بميزة الكتابة المسرحية والتلفزيونية.

لم يتعامل النظام السوري مع قلعي على أنه نجمٌ يخدم هذا الوطن بإبداعه، ولكنه نظر إلى دريد على أنه الابن البار له، فهذا كان وفيّاً له

عابد صاحب السر الجميل أيهم داغستاني



في ليلة شتائية، في غرفة صديقي أبو خالد الذي لا تفارق الابتسامة وجهه، في مزرعة متطرفة عن قريتي دير فول، كنا نشرب الشاي وتذكر أيام المعارك الماضية، ونضحك على ما أبقانا في وقتها، رن هاتفني فأجبت، كلمني بلهجة سريعة أنس أبو أحمد: «إذا أردت الذهاب إلى تركيا، كن في مقرري على تمام الساعة الخامسة صباحاً» نظرت إلى الساعة على حائط المزرعة، في تلك اللحظة لم تكن قد تجاوزت الثانية صباحاً، لكنني احتاج إلى وقتٍ لتجهيز حقائبي، أخذت سيارة أبو خالد وهو مندهش من قراري السريع، ونزلت بها إلى (دير فول)، كان شباب القرية مجتمعين في فريق صغيرة على مرابط القرية لحمايتها.

في المحرس الموجود على زاوية دكان القرية الرئيسية يجلس عابد، توقفت عنده، وقلت له إني مسافرٌ في الصباح، صعد في السيارة معي دون أن يتكلم على إثر خلافٍ في الآراء قد حصل بيننا قبل يومين، تطور إلى صراخ كما يصرخ الأخوة بين بعضهم في عتابٍ وبعوض الجمل الغاضبة.

أشعلت الضوء داخل السيارة، ونظرت إلى وجه عابد الأشقر الممتلئ المتسم، وقلت له: «لسعك زعلان مني؟».

أحابني بابتسامة كبيرة: «ليش فيني إزعل منك يا ولد، عامل يلي أكبر من هيك». نزلنا أنا وعابد إلى مكثي، وبدأ يساعدي

خاص حنطة

كانت الساعة قد قاربت الرابعة والنصف، ساعدي بنقل حقائبي إلى السيارة وتوجهنا بها إلى مقر أبو أحمد وهنا قام بضمي بشكل قوي ونظر إلي وقال: «دير بالك على الطريق ولا تتهور بأي تصرف».

كان من المفروض أني أنا من سيحتاز الخطر خلال هذا الطريق، وأنني أنا من يخلق الموت حوله، والتمست أنها قد تكون المرة الأخيرة التي أرى فيها هذا الشاب الأشقر ذا الوجه المبتسم، وكنث على حق، فقد ركبت تلك الشاحنة وسافرت، وهو بقي ليتلقف قذيفة الموت التي حرمتني إلى الأبد معرفة سره الجميل.

بتوضيب أشياءي قبل السفر، وأنا أعده بأي خلال عشرين يوماً سوف أكون معهم من جديد. عندما انتهينا، جهزت فنجانين من القهوة وجلسنا، نظر إلي وقال: «قبل أن تذهب أريدك أن تعلم أني وجدت شريكة العمر».

لم يخبرني باسمها، وبإجابة ساخرة: «لن أعلن عن أي شيء قبل أن تعود». وبدأ بوصفها كأنها جمر في فمه، ولا يستطيع كتمانها. ومع نظرة حارقة في عينيه قال: «طويلة، ذات شعر أسود وعيون كبيرة مبطنة، لا أستطيع أن تحفظ على ابتسامتي أمامها».

من ذاكرة أبو محمود الطنبرجي

مأمون جعبري

الهنيان



في الأيام الخوالي كيف كان شارباه يترقصان حين يراها، وتلمع عيناه بتلك النظرة التي تفهمها جيداً، أما الآن فهو من يهرب ببصره حين تمر، وفي كل مساءٍ يحضّر عذراً كي يبقى بعيداً عنها».

صمت عن هذيانه بعد أن أطلق سحابة مكثت تنوء، وطناً ضائعاً وجرحاً لا يلتئم.

بقي مزروعاً مع حجارة الدار، أما الشبح الذي أمامك، فهو هذا المشرد الذي يهرب عندما يرى إطلالة شرطيّ تلوح في البعيد، رغم أنه لا يتجرأ على أن يمس القانون، هو الذي يستأذن الكلاب الشاردة كي يدخل حديقة، لأنه يدرك أنها شاردة في أوطانها، ولها الحق في الاستمتاع مقارنةً به، إنه الأهل الذي يكثر من الابتسامات الحمقاء حين دخوله لأي دكان، كي يثير فرح الحاضرين وليس غضبهم، إنه الذي ينظر إلى غيمة مطرة بحقد، بعد أن كان يرقص عند أول قطرة، أبو محمود الذي أصبح يكره كل مدارس العالم، ويكره من رسم الكلمة الأولى، لأن ابنته الصغرى حين تفتح عينها كل صباح تجلده بسؤالها «متى أذهب إلى المدرسة؟»، ويصرخ بمن يراه من أولاده مريضاً بأن إهماله هو السبب، بعد أن كانت قبلاته في يوم مضى تدفع جسد من يمرض منهم، تتذكر أم محمود

حين فتح باب القبو بعد عدة طرقات، ارتقى ذاك الشخص مختبئاً خلف سحابة دخانية عالقة في الهواء، ترفض أن تتزحزح لعجزها، بعد أن حملت ما علق بها من تلك الزفرات، بددتها بيدي لتطالعني تلك العينان المنتفختان المحمرتان. بادرت بالسؤال بعتب: «أبو محمود.. ما الجديد؟» نظرت العينان بسخرية ليتدفق سيلٌ من الكلمات، بدأ السيل من أبو محمود. «من تقصد؟ هل تقصد أبو محمود، ذلك الرجل الذي كان ينظر إلى الطائرة المعرودة في سماء قريته وهي تقصف، وبكل ثقة يصق عليها، قائلاً لمن حوله: الأعمار بيد الله، أو أنك تقصد أبو محمود الذي كان ينظر إلى زوجته بجنان، ويربّت على كتفها كي تخشى جوع أو برد أطفالهم إن حدث له مكروه، مذكراً إياها بأنهم زرعوا الخير أينما حلوا، ومن يزرع الخير يجصد العون عند المصائب، إن كان أبو محمود هذا الذي تبحث عنه، فقد

هجرة الثوار القسرية اغتراب المحارب، أم استراحتته؟

عماد نجم حسو

الشأن العام، ولديه القدرة على زيارة الداخل. من هذا المنطلق، لا أعتقد بحدوث افتراق بيني وبين الداخل. يضاف إلى ذلك أنني لم أنقطع للحظة عن هوم أهلي و أصدقائي وزملائي، واشتركت معهم دائماً، ولا أزال، وأرجع للعمل في الداخل إذا استوجب ذلك». هذا الرأي يقودنا للحديث عن نشاط السوريين حول الشريط الحدودي، مع النازحين. نلاحظ هنا أن أغلب الذين تركوا البلاد، تركوها إلى مناطق مجاورة لا تبعد ساعات ربما عن منازلهم، لهذا فإن العودة تبقى أسهل، والتواصل يبقى، بحكم القرب وبحكم الرغبة الدافقة لدى السوريين للتواصل فيما بينهم. إن كثيراً من النشاطات التي يقوم بها بعض الثوار في الإغاثية، لربما هي لا تقل أهمية عن النشاط في الداخل.»

الموسيقي (بشار اسماعيل)، الذي شارك في المظاهرات كما في العمل العسكري، إلا أنه تنحى جانبا حين رأى أن النزاع أصبح بلا هدف، ويتعد عما يراه خليقاً بالابتعاد عنه، من وجهة نظره. «هذا يعتمد على مفهومي للثورة. ثورة مرحلية، أم ثورة قلب نظام، أم ثورة كلاسكية على الدكتاتورية.» يقول أيضاً «الكثير من الموسيقيين والكتاب والرسامين، غادروا بلادهم عند أول طلقة بندقية أو قطرة دم.. لأن الصراع البشري على مدى التاريخ لا ينتهي، ويحرق الأخضر واليابس. المفارقة تكمن في أن الثورة السورية، تميزت بوجود (النشاط الثوري) كمفهوم جديد وأسلوب عمل مختلف. من خلال قراءة التاريخ ثورات عمت العالم، هناك طاغية وهناك شعب تآثر ضده، أما هذه الأساليب التي ابتكرها أشخاص يعملون لأجندات تخدم مصالحهم الشخصية، فليس لها من الوجاهة أو المكانة أو التأثير، الشيء الكثير، بصراحة، ثورتي لم تبدأ بعد، وهناك الكثيرون يرون الأمر بهذه الطريقة، لذلك أرى أن أنتحي جانباً إلى أن ينتهي الصراع المسلح.»

كثيرون يتحدثون عن الهجرة وعن فقدان الثورة لأبنائها، لكن الحل يبقى بوضوح الرؤية لدى الجميع، خصوصاً لدى الثوار على الأرض، لأن هذا الوضوح سيسمح لنا بالخروج من الحلقة المفرغة للفضي الظاهرة، والتي تخفي تحتها تاريخنا الذي يكتب الآن.

وتأخر انشقاقي لأني كنت أعمل على مساعدة زملائي في الخدمة على الانشقاك، حيث كنت مسؤولاً عن ذاتية الفوج ٥٥٤ قوات خاصة، وبحكم ذلك فإن ختمي المهمات والإجازات كانا معي وبهذا سهلت هروب وانشقاق العديد من زملائي، في الخامس والعشرين من شهر آب عملت مع مجموعة من أبناء حبي على تشكيل كتيبة (أسود السنة)، وشاركنا في العديد من المعارك الدائرة في حلب، كان أهمها معركة تحرير (ثكنة هنانو)، انتقلت بعدها إلى ما عرف في ذلك الوقت بلواء (الثورة الحلبية)، حيث كانت إحدى مهامها الحفاظ على أمن المناطق المحررة، والمشاركة على خط الجبهات المشتعلة ضد نظام الأسد، لقد كان انضمامي إلى الجيش الحر إيماناً مني بأنه الجيش المخلص للشعب السوري، وبأنه جيش سورية القادمة المدافع عن حدودها، إلا أن عمل البعض على تشويه صورة هذا الجيش، من خلال الممارسات التي قام بها، سواء بعض من كانوا ثواراً، أو من المتسقين الذين اتخذوا من الثورة سلماً يرتقونه لتحقيق مصالحهم الشخصية وأطماعهم وحشعهم، أصبحت الغنائم من السلاح والذخيرة.. إلخ هي الهدف الأساسي، بدلاً من إسقاط النظام لدى بعض قادة وعناصر الجيش الحر، كما أن انضمام بعض من كانوا شبيحة بالأمس إلى كتائب الجيش الحر، وإفلاتهم من العقاب عند محاولات محاسبة أحدهم، حيث ظهرت المحسوبية والمصالح المشتركة لدى بعض القادة، وبعض من هؤلاء الشبيحة الذين تظاهروا باخراطهم في الثورة السورية، إلا أن أفعالهم لم تكن تدل على ذلك أبداً. هذه الأسباب إضافة إلى قلة موارد الجيش الحر الحر، وعدم وجود عائدات مادية لعناصرها، أجبرت الكثيرين على تركه والتوجه للعمل الخاص لتأمين لقمة العيش لأولادهم. لاحقاً تم اعتقال من قبل الهيئة الشرعية بحلب لأكثر من ثلاثة أيام بدون توجيه أية تهمة أو مذكرة إحصار، علماً أن مذكرة إخلاء سبيلي تحوي التاريخ ذاته لدخولي السجن، كل ذلك قادي للتفكير فعلياً بإيقاف نشاطي الثوري ولو لفترة مؤقتة، مع بقاء الثورة حية في داخلي.»

العديد من القصص والآراء حول هذه القضية. (بيروز بريك)، رئيس تحرير مجلة صور، كان ينظر للموضوع من زاوية أخرى، فهو لا يفضل هذه الحسبة التي تعتمد على القسمة بين من هم في الداخل ومن في الخارج. «أنا لست من المؤمنين بالتفريق بين داخل وخارج، وخاصة إذا كان اللاجئ أو المسافر أو المغترب (بغض النظر عن التسمية) في دولة مجاورة أو منطقة حدودية، وفي أماكن تجمع السوريين، ويعمل في

لم يكن الإجماع على الرحيل، الترحيل القسري، حادثة جديدة أو طارئة على المجتمع السوري، إلا أنها ومنذ بداية الثورة، وخاصة بعد مضي عامها الأول، بدأت تتحول إلى ظاهرة يومية الحضور في حياة السوريين، ظاهرة ربما شملت نصف الشعب السوري وأثرت به. لنتذكر أن رفات القاص السوري (جميل حتمل) ما زالت تنتظر في فرنسا من ينقلها إلى أرض الوطن، منذ أن خرج في الثمانينيات على خلفية انتمائه لحزب العمل الشيوعي. هذه القصة واحدة من قصص كثير من السوريين، عانوا ولا زالوا من جور النظام وأجهزته.. الحديث الآن عن الهجرة والتهجير يبدو ملحاً، في الوقت الذي أجبر فيه العديد من الشباب على الرحيل. فأين يجد هؤلاء الثوار أنفسهم الآن، وهل ابتعادهم عن هذه الثورة، هو بلا رجعة؟ (أبو الطيب)، هو من هؤلاء الذين اضطرتهم الملاحقة إلى الخروج من سوريا، بعد أن دوهمت عيادته من قبل المخابرات الجوية. (أبو الطيب) طبيب الأسنان يذكر عن تلك المرحلة قسوتها عليه وكثرة تنقله، للقيام بما يجب في العمل الإغاثي والطبي لمساعدة اللاجئين السوريين. «وجدت في مصر ملحاً لي، وخصوصاً لأن مصر كانت آنذاك حاضنة للثورة السورية ولثوارها، قابلت الكثير من الشخصيات المعارضة وتحدثت مع الكثير منهم، إلا أنني وجدت في معظمهم رغبة باستغلال أي تآثر قد خرج من الداخل، وذلك بغية ضمه لتكتلهم أو حزبهم، وابتعاده عن التكتلات الأخرى. سبعة أشهر من هذه الحالة، كانت كفيلة بانتقالي إلى تركيا، حيث رغبت أيضاً بالعمل من أجل اللاجئين السوريين هناك، وبمساعدة أحد الأصدقاء عملت على تأسيس عيادة سنية مجانية في أحد المراكز الطبية السورية في مدينة أنطاكية، عملت لفترة جيدة هناك، إلا أن ظهور بعض الأشخاص ممن حولوا المركز الطبي، لمكان يمارسون فيه الدعاية لأشخاص لا يهمهم سوى السلطة وحجز مقعد سياسي لهم في الدولة المستقبلية، بالإضافة إلى سوء المعاملة التي وصلت إلى حد مس كرامتي كإنسان قد خرج بثورة عنوانها العريض هو الكرامة، كل هذا أنهى عملي في هذا المركز.»

مع بداية الثورة السورية كان (أحمد البيهس) طالب المعهد التجاري يؤدي خدمته الإلزامية في الفرقة ١٤ قوات خاصة كرفيق مجند، مجدثنا أحمد قائلاً: «لقد كانت الإجازات بالنسبة لي فرصة للتظاهر ضد النظام الاسدي، فلقد شاركت في العديد من مظاهرات جامعة حلب، أعلنت انشقاقي عن جيش النظام الاسدي في ٢٠_٧_٢٠١٢،

قاع القاهرة الدافئ، قاع القاهرة القاتل | خضر سلمان



مقهى في مدينة القاهرة

ملاعب الغولف وصالات السينما والمتنزهات. هيمًا المترنح دائماً تحت تأثير نوع رديٍّ من مسكنات الألم المركزية، سأل ذات مرة عن الحولة، قال: هما صحيح دبحوا الأطفال هناك؟ أجابه رامى: آه. كانت دموع هيمًا إنسانيةً تسيل، كانت دموعه أصدق من أن توصف. منذ أيام، كان رامى يمشي في أزقة بولاق الدكتور، مستسلماً للكيمياء تعبت في دمه، متأملاً في التفاصيل، يسحب أصوات الباعة والتكاتك وروائح الخضار والجبن المفلوش على البسطات، يسحبها كلها على جسده كأنها لحاف في ليلة شتوية ماطرة، يترك القاع يغمره ويشم الرائحة الآمنة الطيبة للإنسان المتعب المطحون في التفاصيل. كان يفكر وكان حزينا، فقد أسرَّ له هيمًا بأنه سيرتكب جريمةً غداً! كان يطلب من رامى بعد سيجارة دخانها معاً عدم الاتصال به في الأيام القادمة، لأن عليه أن يجتني -ليه؟ -أصلها حكاية.

بعد إلحاح قال هيمًا إنه سيقبل شخصاً مقابل المال، قال إنها مهنته! وقال أيضاً لا أريد أن أراك بعد اليوم. هل يمكن لهيمًا أن يقتل؟ أعتقد أنه سيؤذي غريمه، يعطبه، لكن لا أتصور أن هيمًا يمكن أن يقتل. إلا أنه قال سيفعل، كما أنك لا تعرف شيئاً عنه. إنه في النهاية رجل عصابة. شعر رامى بالرعب فجأة، لم يدر كيف نسي هيمًا، بحث عن ديلر آخر وتعلم أن القاع خطير. صحيح أن هيمًا يحب الجيش الحر، صحيح أن هيمًا بكى على أطفال الحولة، لكنه يوشك على ارتكاب جريمة، مرتاح البال ورائقاً.. وأمضد.. ماذا كان اسمه؟ رامى، ويمضي رامى في الشوارع الأقل قاعيةً، مرتبكاً ومجدداً في داخله الحقيقة المرة، أن شر العالم ما زال غير مفهوم، رامى ما زال لا يفهمك أيها العالم. أكره أن أُمي تقرأ مقالتي.

أن يتحمل المسؤولية. لقد جربت السلطات التي مرت على مصر، جربت في هؤلاء نزواتها الاقتصادية، لم يرحمهم أحد، لم يفكر بهم أحد كبشر، كانوا دائماً هامش مصر المنسيّ المعذب الفادي الذي تنزاح إليه كاللعنة الأبدية كل المشاكل والتناقضات الطبقية، ليستمر الأغنياء في الاستمتاع بالمال، والطبقات في الدفاع عن مصالحها، وحماية «الاستقرار»، وكبح موجات التغيير الجذري، ومحاولة الالتحاق بأصحاب المال والامتيازات في الدرجات الأعلى من السلم. كل هذه القوى -وتطبيقاتها السياسية- التي تتفاني داخلياً في المجتمع المصري، ترمي مخلفات صراعاتها إلى الباحة الخلفية، هناك حيث: حيث القاع، يعيش تحت خط الفقر بمراحل، من يعاني عن مصر ويفتدي المجتمع مقابل الريح، العبت، مقابل الهراء واللاشيء..

هنا في القاع، يعيش مجتمع خاص من الشباب، له قيمه ومنظومة أفكاره وطبيعة علاقاته الخاصة جداً. عفوية واندفاع وعنفية كامنة وقلق لا تجده في أماكن أخرى.

موسيقاهم أيضاً هي خاصة وغريبة. أغنيات شعبية إلكترونية، يكتبونها ويلحنونها. بذاءة ودفق مشاعر موجٍ وحزين، منكوب دائماً وخاسر سلفاً.. في مصر، يقول هيمًا، لا حديث «صحيحاً» إلا حديث الكرة. السياسة والمجتمع والغد الأسود الغامض، كلها أحاديث بلا طائل، لأن أحداً لا يعرف شيئاً صلباً عما يجري، مما يجعل الوصول إلى نتائج صحيحة مستحيلاً، في كرة القدم هناك فائز ومباراة تابعها الجميع وعند طربي الحديث قدر واحد من المعلومات عنها، حديث الكرة وحده «الصحيح» في مصر.. «هذا الرجل يفهم العالم أفضل مني»، قال رامى لنفسه مغتاضاً يومها، أذكر هذا تماماً.

«ربنا» والحشيش هما ما يمنعان هذا المجتمع من أن ينفجر. يتخوف مثقفون وناشطون في مصر من ثورة جياح لا تبقى ولا تذر، الملايين من سكان الجزر الطبقية المسحوقة هذه، سينفجرون في وجه جزر طبقية مقابلة تنتمي إلى عالم آخر، فيها كل شيء من سلاسل المطاعم العالمية إلى

إنها القاهرة. المدينة الكبرى التي يمارس البشر حياتهم فيها بصورة مليونية، ملايين يركبون المترو صباحاً، ملايين يركبون المترو بعد الظهر، ملايين يمشون على النيل، ملايين يقودون السيارات في شوارع مزدحمة بالملايين من كل شيء..

أول انطباع لي مع المدينة الكبرى -أنا القادم من قريةٍ منسيةٍ لا يكاد يتجاوز عدد سكانها، شاغلي ناطحة سحاب- أنني كنتُ أرى كل يوم عدداً من البشر أكثر مما ينبغي أن أراه في شهر، عدد البشر الذين تحتك بهم يومياً في المدينة الكبيرة منتهك، يفرض نفسه قهراً على إيقاع حياتك. هذا يفسر الحس الجماعي عند الناس هنا، وانسحاق النزعة الفردية وأصحابها تحت عجلات المترو والشمس الحارقة.

في مصر، كما في كل مكان، المنطق الطبقي ضروري لفهم الأشياء. لكن الأمور في مصر واضحة، والفقير لا يججل من إعمال أنيابه أمام الكاميرات. يمكن لـ «الفرد» أن يعيش في طبقات محدودة في المجتمع المصري، فرصته أن يكون فرداً، هي إما في أعلى السلم، أو أدناه، بقوة المال أو قوة شرعة الغاب. خارج هذه الحدود يعربد مجد الجماعة والجماعات. الجماعات المستقوية بعضها داخلياً، التي التحمت بصورة مهيبه في ميدان التحرير، هي من صنع هذا التغيير «القلق» في مصر.

في القاع يوجد أفراداً إذن، وبإضافة عامل أن صديقي رامى يستعين بالمخدرات على المدينة الكبيرة، وأنه زبون ثقة لبائعي الحشيش في القاهرة، وأن رامى ببساطة مجنون، كانت خبرة حريفة تنضج في ليل القاهرة.

«هيمًا» هو ديلر (بائع) مخدرات. يعرف عن سوريا القليل القليل، من هذا القليل صديقه رامى. يحب الجيش الحر لأنه ينزل الطائرات، يكره حياته ويحمل فهماً عثياً للوجود. يشعر بالخجل من السوريين، على الأقل أمام رامى.. «ميدان ايه وداحلية ايه.. دا انتو بتضربوا بالطيارة يا شيخ». وبسبب أن صديقي رامى ثوري ثرثار، وهيمًا مليءً بالغضب، صار رامى وهيمًا صديقين.

كان شغف القاع يقود رامى إلى الأمكنة الأكثر إعتاماً في القاهرة. هناك، حيث البيوت الواقفة بقدرة الله، والمتشردون والمتعاطون والباعة المتجولون، والفقير والقمامة والأطفال الذين يحملون المطاوي وينامون في الشوارع، هذا الخزان البشري الهائل الذي يصدر إلى مصر البلطجية والفوضى وعدم الأمان، ويذكر المجتمع بأنه ليس بخير، وأن هذا الورم الذي يكبر على جسده مصر لن يستمر طويلاً في المهادنة، وأن الحال التي عليها هؤلاء لم تأت من العدم، وأن على المجتمع

«أخيراً، لن تهتز يدي!» بورتريه: ناجي الجرف



كلمن أبو أحمد - مواطن صحفي - اللجاة - خاص حنطة

الناس بدم بارد، من ينتصر ومن يخسر، وكيف يقوم الناس من كل مجزرة مصرين على الاستمرار. الكاميرا توثق المكان والزمان وتجعل معرفة الحقائق أسهل، في زمن يعج بأصحاب نوايا التزييف وطمس الحقيقة وتغييب الناس عما يُفعل بهم.

«يقولون إن الكاميرا عين ثالثة. لا أدري إن كانت هكذا بالضبط، لكن بالنسبة لي، هي أولاً طريق سريع إلى قلوب الناس، الناس هنا تتق بحامل الكاميرا، تدرك فوراً كل شيء، عندما ترى شاباً يهرع بكاميرته إلى مكان القصف أو المعركة أو أيّاً يكن، حامل الكاميرا هو صوت الناس هنا. أيضاً هي أمر مهم جداً للمستقبل، أنا أعتبر أنني أوثق للمستقبل، لا للفضائيات وصفحات الإنترنت اليوم، في المستقبل، سنحتاج كل هذه الوثائق الحية لنحاكم قتلة المدنيين ومرتكبي الجرائم ضد الإنسانية، لن ننسى شيئاً وستكون أدلتنا حاضرة وقوية».

«ماذا تريد من الثورة، وماذا تحلم من أجل سوريا؟». يجيبنا كلمن في ثقة: أريد من الثورة ليس أقل من إنصاف الذين شاركوا بها وقدموا التضحيات، الجميع ومن جميع الطوائف والمناطق، الدرزي والمسيحي والمسلم والعلوي الذي قدم للثورة، كل هؤلاء يجب أن يروا حلمهم يتحقق أمامهم، حلمنا جميعاً في دولة عادلة لا تتعدى عليهم ولا تلغيهم ولا تصادرهم أو تصادر حقوقهم في السلامة والحرية والحياة والإبداع والعمل. أحلم بوقفه على جبل قاسيون، وعلم الحرية يرفرف فوق مؤسسات سوريا كافة. أحلم بنصر للثورة يكون نصراً للمواطنة والعدالة والحرية، نصراً نبيلاً، بلا تعصب وبلا نوايا انتقام، لكن أيضاً، دون السماح لأحد ممن قتلوا شعبنا بالفرار من المحاسبة، نحن نصبر على كل هذا، لأننا نعلم تماماً أننا سنعيد الاقتصاص بعدالة من قتلنا، أنا وأؤمن بهذا».

لغم به أثناء تغطيته لإحدى المعارك. عن «لماذا اللجاة» قال: «اللجاة. من لا يعرف اللجاة؟ إنها أول منطقة محررة بمعنى الكلمة في سوريا، وأمن مكان لا يختبئ الملاحقون، ومركز تجمع وانطلاق الجيش الحر في بداياته. العمل في اللجاة يعني العمل في ظل كل هذه الظروف الجيدة. أنا سعيد في عملي هنا، وأشعر بقدرتي على التأثير والفعل. الثورة السورية أعادت إلينا كبشر المبادرة، صرنا نلمس أثر فعلنا وقوته. لو لم يكن فعلنا حاسماً وصادماً ما كان النظام ليمارس كل هذا الجنون».

مكان يده اليمنى، يفخر (أبو أحمد) أيما فخر بالكاميرا المثبتة على ذراعية الصناعية الجديدة. «أخيراً كاميرا لا تهتز، أخيراً لن تهتز يدي!» يقول مماًزحاً مدربه الذي علمه التصوير وتغطية الأحداث في دورة إعلامية للناشطين في تركيا. يقول له أيضاً: «أستطيع أن أصور بدقة واحتراف كهوليود الآن، لن تهتز يدي الجديدة. سيرى العالم المعارك بيد مصور ثابتة، هذا مفيد ورائع». لا يبدو على (أبو أحمد) أنه تجاوز تماماً ألم فقد عضوين من جسده، لكنه ليس أبداً ذلك الإنسان المنكسر الذي قد يكون عليه رجل فقد يده ورجله في معركة.

«من تتحدى عندما ركبت هذه الكاميرا على يدك الاصطناعية؟» نسأله. «من وماذا تتحدى؟». يقول: أتحدى عدم الثبات في الصورة الذي كان يوترني، وعورة المنطقة، صعوبة الحركة أثناء القصف، أتحدى القذائف التي تسقط تباعاً، فقد صرت أقدر على ملاحقتها بعدستي. أتحدى العجز الذي ظن النظام أنه يستطيع أن يهينني إليه بممارساته».

يصر على مواصلة الحديث عن الكاميرا، شغفه. يقول إنها أداة الحقيقة في سوريا اليوم. الدليل القاطع الذي يثبت لك كيف تمت الانتهاكات ومن قتل

(كلمن أبو أحمد)، ناشط ثوري من قرية (جباب) في محافظة درعا.

عمل كادراً إعلامياً طوال الثورة، ويعمل الآن في مدينة (اللجاة)، التي يتحدث عنها بشغف، ويقول إنه يحبها، وإن لديه الكثير من الأسباب لهذا الحب.

كان (كلمن) قبل الثورة عاملاً في مطعم في العاصمة دمشق. مهنة كانت شائعة، إلى جانب مهن كثيرة كان يمتثلها الآلاف من الشباب القادمين من الأرياف المهمشة وأحزمة العشوائيات حول المدن الكبيرة.

يجيب (أبو أحمد) عن أسباب خروجه للثورة واتجاهه نحو رصد واقعه بالكاميرا، أن لمظاهرة لأولى التي شهدتها أشعلت في نفسه ثورته الخاصة: «يومها رأيت أول شهيد يسقط أمامي. لا أعرف منه إلا شكله، ملامحه وجسده المدمى. كنا نرشق الأمن بالحجارة وهم يطلقون النار، حتى وصل عدد الشهداء إلى أكثر من عشرة. أصيب الشاب بطلق ناري بقدمه. لم نستطع سحبه بسبب غزارة الرصاص، فسحبه رجال قوات حفظ النظام، استمرنا برشقهم بالحجارة حتى تراجعوا قليلاً، لكن الشاب كان ملقى على جانب الطريق حين وصلنا إليه، وكانت هناك رصاصة في رأسه، فقمنا بسحبه إلى الجامع العمري، ليتعرف عليه بعض الناس. قالوا إنه من أبناء درعا البلد، ويعمل في محل توزيع غاز».

(أبو أحمد) يقول إنه لم يتعب، يقول أيضاً إن أحداً من الثوار لم يتعب، على الأقل ليس إلى الحد الذي يدفع إلى التفكير في التراجع أو الاستسلام، الاستسلام يعني الموت، المواصلة هي الطريق الوحيد إلى الحياة برأي (كلمن).

في التنوع وإرادة الحياة، في التوق الجبار في عيون كل من يعمل معهم، يجد (كلمن) نفسه، ويشعر بأن حياته اليوم أصبحت محملة بالمعنى وتستحق الحياة، وبرغم القصف اليومي، والدمار الهائل، وشهية القتل غير المحدودة لدى النظام، يقول (كلمن) إنه بخير أكثر من أيام العمل في المطعم. «كنا نعيش في العدم، لم نكن نفعل شيئاً غير محاولة النجاة، كنا باحثين عن اللقمة والستر وحسب، لكننا الآن طلاب حرية، ثوار وفتلك الوعي بمن يقتلنا ومن يريد سحقنا وتهميشنا وكتم إرادتنا وصوتنا.. من هو معنا ومن ضدنا. انظر إلى الشباب. ما زالوا مستمرين برغم كل المعوقات والمطبات التي واجهتهم».

في (اللجاة) بمحافظة درعا، يعمل (أبو أحمد) اليوم، كمصور وكادراً إعلامياً. فقد أبو أحمد يده اليمنى ورجله في انفجار

جدلية العسكرة والتنمية - الاقتصاد السوري أنموذجاً

د. عبد الله الفراتي

حلقة ٣



من الترسانة العسكرية السورية

تلك كانت بدايات التدهور العسكري الذي انفجر في الثورة السورية، وحول تلك الأسلحة المتراكمة منذ عقود خلت، يذكر تقرير مسرب أن أعداد الآليات العسكرية التي رُقن قيدها (أي خرجت فعلياً من الخدمة) قد بلغ أرقاماً مهولة منذ بدء الثورة لعلها الأعلى في التاريخ، فبلغ ٣٦٨ دبابة من مختلف الأنواع، و ٢٤٨ عربة بي أم بي من مختلف الطرازات، و ١٣١ عربة بي آر دي أم، و ١٤٦ شاحنة عسكرية، و ٢٣٦ سيارة صغيرة بما فيها الحافلات، و ١٧ عربة مصفحة من نوع بي تي آر، و ١٢٢ شاحنة صغيرة (بيك أب) من مختلف الطرازات، و ١٤٨ عربة إسعاف مدنية وعسكرية، و ثلاثة حوامات عسكرية روسية متطورة من طراز مي وأنتونوف، وتشير أكثر الدراسات تفاعلاً أن الخسائر الاقتصادية للاقتصاد السوري جراء الحرب قد بلغت حتى نهاية الربع الأول من العام الحالي نحو ٨٥ مليار دولار بزيادة قدرها الضعف تقريباً عن نهاية عام ٢٠١٢، حيث بلغت الخسائر وفق تقدير المصدر نفسه نحو ٤٨ ميار دولار .

وقد طالت الخسائر على نحو خاص النتائج المحلي بشقيه الجاري والثابت، حيث هناك نحو ٨ مليارات دولار خسائر في الناتج المحلي الإجمالي، و ١٣ مليار دولار لحقت برأس المال، بينما ذهبت ٧ مليارات للإنفاق العسكري. أما عن خدمة الدين العام، وهي تعبير يعني مقدار المديونية التي يتحملها الناتج القومي للبلاد في فترة ما، ورغم أنه المؤشر الذي طالما تبجح النظام به، لانخفاض المديونية السورية بالمقارنة مع دول الجوار، فقد ارتفع إلى نحو ٧٠٪ في الربع الأول

١٩٩٩ قدرت بنحو ملياري دولار، شملت أسلحة متقدمة، وقد قامت روسيا وقتها بإعادة جدولة ديونها العسكرية على سوريا، وتقديم الأسلحة التي تتوافق مع قدرة سوريا على الدفع، وقد ساعدت روسيا سوريا في تحديث ما لديها من الأسلحة والمعدات العسكرية السوفيتية القديمة، والتي تمثل النسبة الأكبر في الترسانة العسكرية السورية.

وقد تأثرت السياسة الدفاعية السورية بالأوضاع الداخلية في البلاد، خصوصاً ما يتعلق فيها بإقحام الجيش في العملية السياسية منذ القدم، فقد أدت الانقلابات العسكرية المتوالية التي قام بها الجيش إلى تسييسه على نحو واضح، كما ساهم الجيش في الحفاظ على أمن نظام الحكم، بل وتعداه إلى المشاركة في عملية إدارة شؤون البلاد، في ظل سيطرة الاتجاه السياسي بإعداد الدولة السورية للحرب، لمواجهة «التهديد» الإسرائيلي، كما تأثرت السياسة الدفاعية السورية بانتهاج الحرب الباردة واختيار الاتحاد السوفيتي، حيث تبنت روسيا الاتحادية سياسة السداد النقدي بشأن مبيعات السلاح لسوريا، مع المطالبة بسداد الديون العسكرية القديمة. وقد تسببت هذه التطورات في إضعاف قدرة القوات المسلحة السورية على تحقيق التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل - هذا بافتراض وجود ذلك التوازن أساساً، ولا سيما أن الصعوبات التي كان يعاني منها الاقتصاد السوري في تلك المرحلة قد ساهمت في الحد على نحو كبير من قدرة البلاد على توفير المخصصات المالية اللازمة لسداد قيمة الاحتياجات التسليحية لقوات الجيش وفق المتطلبات النقدية الروسية.

كنا قد تناولنا في الحلقتين الماضيتين اقتصاد الحرب وكيف فُصل الاقتصاد السوري على مقياس ذلك النوع من الاقتصاديات، ولطالما تبجح النظام باقتصاده الحربي «الممانع»، مبرراً كل ذلك الإنفاق العسكري المهول في سبيل «ممانعته» المعلنة لإسرائيل، فهل كانت فعلاً ممانعة حقيقية أم لا؟ للإجابة على ذلك سنعود للتاريخ قليلاً، فقد لوحظ أن قدرة سوريا الإنفاقية على التسليح قد انخفضت على نحو واضح منذ أواخر الثمانينيات من القرن الماضي. وتشير بعض الدراسات أن الإنفاق العسكري السوري الذي اقترب من ثلثي الإنفاق العسكري الإسرائيلي في منتصف ذلك العقد من الزمان، قد انخفض إلى حوالي نصف نظيره الإسرائيلي في العقد الحالي. ويعزو مراقبون ذلك إلى التحولات السياسية الكبرى التي عصفت بالعالم آنذاك وغيرت موازين القوى في العالم بأسره، ولا أدل على ذلك من غياب الحليف الاستراتيجي السوفيتي وتحوله إلى روسيا الاتحادية التي شرعت في إلغاء التسهيلات المالية السوفيتية في عقود التسليح السورية، واستبدالها وفق قواعد جديدة بشأن تنظيم مشتريات السلاح السورية، تركز أساساً على الدفع نقداً للعقود الجديدة، والتركيز الشديد على سداد أقساط الديون العسكرية القديمة في مواعيدها الدقيقة، وتشير بعض الدراسات أن قيمة تلك العقود تناهز نحو ١١ مليار دولار.

ما أحجر النظام السوري على تخفيض الإنفاق العسكري وفقاً للظروف الجديدة، وهو ما تجلّى في انخفاض نسبة الإنفاق العسكري إلى الناتج المحلي الإجمالي، إلى النصف في السنوات الخمس الأولى من عقد التسعينيات، حيث سجل ٧٪ في عام ١٩٩٥ وقدر الإنفاق العسكري في تلك الفترة بنحو ٤٠٠ مليون دولار بعد أن سجل رقمياً قياسياً في عام ١٩٨٧ بـ ٢٠٦ مليار دولار.

وقد أدت هذه المشكلات في أوائل التسعينيات إلى توقف روسيا عن استكمال توريد صفقة أسلحة ضخمة لسوريا، كانت تقدر بحوالي ١٠٤ مليار دولار، بسبب مشكلات التمويل السورية. وكانت تشمل ٢٤ طائرة (ميج ٢٩)، و ١٢ طائرة (سيو ٢٧)، ودبابات (تي ٧٢) و (تي ٧٤)، وصواريخ أرض جو (أس ٣٠٠) و (سام ١٦). وقد حاولت سوريا الحصول على بعض احتياجاتها العسكرية من شركات السلاح الغربية، إلا أنها فشلت، فاضطرت إلى إجراء محادثات صعبة مع روسيا انتهت بصفقة توريد أسلحة في عام



راجمة صواريخ تابعة للجيش السوري

وظيفتها المعهودة كمحج سياحي، إلى حصون وثكنات عسكرية في مختلف الجبهات. كما أن الهجرة القسرية لملايين السوريين قد قلصت من حجم السوق التجاري، واختزلت الشرائح التسويقية المحتملة، وبالتالي من المبيعات والأرباح المتوقعة من الاستثمارات. وتقدر الأمم المتحدة أن أكثر من نصف الشعب السوري قد يغدو نازحاً إذا ما استمرت آلة الحرب عاماً إضافياً. ومن بين نحو ٧٥ مشفى حكومياً، خرج أكثر من نصفها عن الخدمة، كما دمر ما يقارب ٦٠٠ ألف منزل، وتقدر كلفة إعادة إعمارها بنحو ٧٠ مليار دولار.

(يتبع)

السورية في وقف التدهور المطرد لليرة السورية، وبعد خط الإمداد المصرفي الإيراني بنحو ٣،٦ مليار دولار للنظام، وصل احتياطي النقد إلى نحو ٥ مليار دولار، بعدما وصل لحافة المليارين فقط في الربع الأول من العام الجاري، لدرجة أن النظام شرع بصرف التحويلات المالية القادمة من السوريين في الخارج باليرة السورية. وهو ما يؤشر جلياً على حجم النزيف الحاصل في احتياطي القطع الأجنبي في سوريا. وقد حاول النظام الوصول مراراً إلى بعض أرصده المجمدة على شكل ودائع، ولا يخفى على أحد الاتجاه الواضح لحكومة النظام بالحد من الإنفاق في كل مرافق ومؤسسات الدولة، أو ما تبقى منها، وخصوصاً فيما يتعلق بدعم بعض المنتجات، مثل غاز المنازل والكهرباء والوقود، والتي بلغت نسبة الإنفاق عليها قبل الحرب نحو ١٠ مليار دولار قبل اندلاع الثورة، ما ساهم بانتشار الاحتكار والسوق السوداء، خصوصاً أن معظم السلع المدعومة هي سلع أساسية لا غنى عنها للمواطن السوري.

وفي ظل انعدام الجو الملائم للاستثمار الأجنبي في سوريا، نتيجة الحرب في كافة القطاعات الاقتصادية، كان واضحاً ذلك التراجع والانحدار المتزايد في إيرادات الموازنة العامة، حيث يُذكر أن الاستثمارات الخليجية لوحدها، كانت تشكل النسبة الأكبر من تلك الاستثمارات، خصوصاً ما يتعلق منها بالفنادق والطرق والاستثمارات العقارية بشكل عام، وغيرها من القطاعات التي فاقم القصف اليومي تدهورها، فاحترق أكثر من ٥٠٠ متجر في سوق حلب التاريخي، الذي أدرجته منظمة اليونسكو في قائمة مواقع التراث العالمي، كما ساعد وقوع عدد من القلاع والمواقع التاريخية في مناطق الاشتباكات، في خروجها عن

من العام الحالي مقارنة بـ ٥٠٪ في نهاية ٢٠١٢. ليس ذلك رقماً غريباً بكل تأكيد، مع كل تلك الأموال الطائلة التي تبتلعها آلة الحرب يومياً، فيكفي أن نعلم أن كل قذيفة طائرة تكلف النظام ٥٠٠٠ دولار، كما أن النظام يخسر شهرياً ١٢ مليون دولار من طائرات الميغ ٢٣ فقط، كما تكلف غارة الطيران الواحدة نحو ٣٢٠ ألف دولار، ومليون دولار للدبابة الواحدة يخسر منها ٥ ملايين دولار كل يوم تقريباً، وتكلف قذيفة الهاون أو صاروخ الغراد ١٠٠٠ دولار، وصاروخ السكود ١٠٠ ألف دولار، وتكلفة راجمة الصواريخ محدود ٢،٥ مليون دولار، علاوة على رواتب العسكريين والأمنيين، التي تقدر لوحدها بما يقارب ١٨٠ مليون دولار. ويكفي أن يشار إلى أن ذلك كان في فترات تعد من فترات الاستقرار، ما يجعل تضاعف تلك الأرقام أضعافاً أمراً بديهياً في زمن الحرب، وتشير بعض الدراسات أن كلفة الحرب شهرياً في سوريا تناهز المليار دولار شهرياً، أي ١٢ مليار في السنة، ما يعني نفاد الاحتياطي المركزي البالغ ١٨ ملياراً منذ النصف الثاني من العام الماضي، وهو ما يفسر الإصدارات النقدية التي تجاوزت نصف الموازنة الحالية نتيجة نفاد القطع الأجنبي من خزينة البنك المركزي.

وتشير بعض التقارير إلى تجاوز عدد قتلى الجيش السوري ٧٠ ألفاً، بينما دمرت نحو ٣٧٠٠ دبابة من أصل ٥٠٠٠ داخل الخدمة الفعلية في مختلف قطاعات الجيش السوري، كما لم يتبق للنظام سوى نحو ٩٠ طائرة مقاتلة من أصل ٤٥٠ طائرة كانت تشكل سلاح الجو السوري. وسواء كانت تلك التقارير دقيقة أم لا، فإن واقع المشهد الاقتصادي المتردي لا يمكن أن يخفى على أحد، فأكثر من ٧٥٪ من مصانع ومنشآت حلب، خرجت من الخدمة، سواء بالقصف أو السرقة أو صعوبة الوصول إليها من الناحية الأمنية أو العسكرية، ولا يقتصر الحال على القطاع الصناعي فقط، بل إن القطاع الزراعي يعاني من ناحية أخرى، فلم يعد الفلاحون قادرين على زراعة حقولهم أو بيع محاصيلهم، علاوة على غلاء الغذاء وندرته، فأصبحت الحبوب والسكر من المستوردات الرئيسية بعدما كانت من أهم الصادرات، وخرج النفط من المعادلة بعدما وقعت العقوبات الاقتصادية، حيث كان النفط السوري في معظمه يُصدر لوجهات أوروبية، فبقيت بعض الدول المساندة للنظام تستورد ما تبقى لديه من النفط، وأدى حظر الاتحاد الأوروبي استيراد النفط السوري إلى خسارة سوريا ٤٠٠ مليون دولار شهرياً، كما خرج قطاع السياحة كاملاً -وهو الذي كان يمد الموازنة بنحو ٨ مليار دولار سنوياً-، كما لم يساعد منع التداول بغير اليرة



أطفال هاربون من العنف يرسمون محتهم

ويندي برور - ترجمة: مجد أحمد



صورة من المقال الأصلي

يجعل هذا الخطر حقيقة. لا يمكن لطفلة أن تتعافى من رؤية مدرستها تقصف وأصدقائها يقتلون، بدون ان تلقي الدعم المناسب من أخصائيين محترفين. تعمل منظمة اليونيسيف جنباً إلى جنب، مع وحدة مساعدة الطفل في مخيم دوميز، التي تساعد الأطفال المتأثرين، كما تقدم الدعم النفسي ونشاطات إعادة التأهيل. لكن هناك ما يقدر بـ ١٣٠٠ طفل في مخيم دوميز وهناك الكثير ممن يصلون كل يوم. نحن بحاجة لتعزيز وسائل الدعم لإيصال الأطفال إلى التعافي من التعنيف الذي واجهوه.. أطلقت الأمم المتحدة، ضمناً منظمة اليونيسيف، نداءً للدعم المالي لعملياتها في سوريا الأسبوع الفائت. كان هذا في الحقيقة أكبر نداء استغاثة أعلنته الأمم المتحدة على الإطلاق.. أطفال مخيم دوميز هم بحاجة إلى المساعدة، وهناك مئات الملايين من الدولارات المختفية خلف الكواليس. لا تزال خطة دعم الأمم المتحدة في العراق مُحققة بنسبة ٣٥٪ فقط. المزيد من الدعم مطلوب لمساندة هؤلاء الأطفال وإعطائهم فرصة تجاوز الشروخ النفسية التي تحرمهم من طفولتهم وتضعهم في مواجهة واقع صعب.

Wendy Bruere*: موظفة في الأمم المتحدة متخصصة في اتصالات الطوارئ تعمل حالياً في مخيم دوميز للاجئين السوريين.

بناهار كامل من النشاطات تشرف عليه اليونيسيف مع منظمات أخرى. كانت هناك ألعاب ورياضات، أعد الأطفال في واحدة من مدارس المخيم عروض الغناء والرقص والشعر والنكات، وفي مدرسة أخرى افتتح الأطفال معرضاً فنياً. اللوحات في هذه المرة، أظهرت مشاهد أكثر سعادة -أطفال يلعبون أو صور للحياة في المخيم-. كان يوماً عظيماً في دوميز، رؤية العديد من الأطفال يلعبون سعداء كان شيئاً غامراً. كانت العودة إلى الواقع في اليوم التالي سبب حزين، عندما أرسل زميلي الاقتباسات المترجمة، واصفةً لوحات الأطفال المنكوبين. «لوحتي هي عن طائرات ودبابات تهاجم المدينة وتقفص المدارس والمنازل والجوامع». قالت فتاة في الحادية عشرة من عمرها. «توجد دبابات في الشارع حيث المدرسة». شرحت فتاة أخرى في الخامسة عشرة. «لوحتي عن أشخاص قتلى وجرحى في الشارع، بسبب القصف العشوائي». قال طفل آخر في الحادية عشرة من عمره. كان هذا جرس إنذار للجميع، أنه بينما يستطيع أطفال اللعب والضحك، هناك أطفال كثيرون يواجهون صعوبة التأقلم مع واقعة الحرب، وتذكيراً بالحاجة للدعم المستمر والمتابعة النفسية والاجتماعية، لإعطاء هؤلاء الأطفال فرصة للتعافي. لقد حذرت الأمم المتحدة من «جيل ضائع» من أطفال سوريا. الإصغاء لما مر به هؤلاء الأطفال،

عندما رسم الأطفال في مخيم دوميز في شمال العراق، لوحات تصور العنف الذي شهدوها في سوريا، علق الكثير من زملائي بأن اللوحات معبرة. ولكن عندما عبرت فتاة مراهقة بتفاصيل أكبر عن لوحاتها، كانت تحكي الكارثة بطريقتها. المبنى الذي قُصف في اللوحة اتضح أنه مدرستها، وأشكال الأعواد المتناثرة على الأرض كانوا زميلاتهما. «بممتن على طريق المدرسة»، واللوحة، كما تقول الفتاة، تعبر عن «مقدار خوفها بينما الطائرات تقصف المدرسة».

عرضت اللوحات في معرض في المخيم لبضعة أسابيع، ونبهت بشكل قوي لما يدور في ذهن الأطفال، حتى بعد أشهر من مغادرتهم لسوريا. ولكن ما سمعته من هؤلاء الأطفال عما رسموه، كان من فترة قريبة.

بعد المعرض، أرادت منظمة اليونيسيف أن تسأل الأطفال قليلاً عن لوحاتهم. وبسبب معوقات اللغة وقلة المترجمين، ساعد طفل متطوع موظف اليونيسيف بالتحدث إلى الأولاد، وأخذ ملاحظاتهم بالعربية لترجم لاحقاً. كنت مهتمة بالتحدث إلى الأطفال عن لوحاتهم التي رسخت ذكريات صعبة لهم، لذلك كنت أستمع باهتمام خلال حديثهم، مستعدة لقطع النقاش مباشرة حال إظهارهم عدم الارتياح أو التردد. لكن الأطفال كانوا متحمسين، متحمهين، يتنافسون لرواية قصصهم أولاً. أرسلت الاقتباسات المكتوبة إلى زميل لترجم. وخلال انتظار، احتفلنا بيوم الطفل في المخيم،

أسئلة وأجوبة: مؤتمر جنيف ٢

ترجمة: سامي شيخ أبو

أعلنت الأمم المتحدة عن مؤتمر للسلام ولإيجاد حل سياسي للنزاع في سوريا، سيتم عقده في كانون الثاني. لأشهر طويلة حاول دبلوماسيو الأمم المتحدة، وكل من الولايات المتحدة وروسيا، بشدة، إقناع الحكومة السورية والمعارضة

لحضور ما أصبح يسمى بـ «جنيف ٢».

تم إطلاق وثيقة تقول بأنه يجب أن تصبح المنظمات الإغاثية قادرة على الوصول إلى المناطق المحاصرة، وأنه يجب تحرير جميع المعتقلين وبخاصة النساء والأطفال منهم. كما أصرت مراراً على مطلب الضغط على الحكومة للموافقة على التطبيق الكامل لبيان جنيف الرسمي، والذي يقول بحسب وصفها إنه «ليس للرئيس بشار الأسد أي دور في المرحلة الانتقالية ومستقبل سوريا».

وقد صرح مسؤولون في الائتلاف الوطني السوري، أنه تحت مصطلح البيان الرسمي للمؤتمر، خلق أو إنشاء أي إدارة انتقالية يجب أن يتم بموافقة جميع الأطراف. كما أصروا على أنه لا يوجد أي فرصة لجعل المعارضة توافق على السماح للرئيس بشار الأسد أو أي من مسؤوليه المقربين بالانضمام إلى الحكومة الموحدة.

كما طالب الائتلاف الوطني السوري في البيان الذي أطلقه في اسطنبول بتسريع بناء خطوات للثقة، والتي تم شرحها من قبله سابقاً في مؤتمر أصدقاء الشعب السوري في لندن ٢٢ تشرين الأول. وقد تضمنت هذه الخطوات بناء ممرات آمنة لإيصال المساعدات الإنسانية، رفض دور إيران قطعياً في عملية السلام، زيادة الدعم العسكري لقوات المقاومة الشعبية، وجعل أي اتفاق ينضوي تحت البند السابع لميثاق الأمم المتحدة.

كتب في صحيفة «الوول ستريت» في ١٨ تشرين الثاني، رئيس الائتلاف الوطني السوري أحمد الجربا: «كيف يمكنني الجلوس على نفس الطاولة مع هؤلاء المسؤولين عن المجازر الفظيعة والمستمرة بحق الشعب السوري، بدون الحصول على بعض الالتزامات والعهود من النظام؟» في الوقت الذي يُعتبر فيه (الائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية)، بشكل واسع، الممثل الشرعي للشعب السوري، توجد تحالفات معارضة أخرى موجودة، مثل هيئة التنسيق المحلية، والمجموعات الإسلامية المقاتلة، القوية جداً، والتي ترفض الاعتراف بسلطة الائتلاف.

عن الـ BBC News - الشرق الأوسط

لقد وافقوا على أن أي حل سياسي يجب أن يقدم انتقالياً يقدم وجهة نظر لمستقبل سوريا، والتي يمكن مشاركتها من قبل جميع السوريين، يبيّن خطوات واضحة طبقاً لجدول زمني ثابت باتجاه تحقيق وجهة النظر تلك، يمكن تنفيذه في مناخ من الأمان والاستقرار والهدوء للجميع، يمكن الوصول إليه بسرعة من دون المزيد من سفك الدماء والعنف ويكون ذا مصداقية.

ويتفق على أن الخطوات الأساسية في الانتقال يجب أن تتضمن إنشاء جسد لحكومة انتقالية، يتمثل كامل لجميع القوى بما يتضمن الحكومة والمعارضة، ويجب تكوينها على أساس موافقة الأطراف جميعاً، بالإضافة إلى مشاركة كل مجموعات المجتمع في سوريا، في عملية حوار وطني ذي معنى، ومراجعة للأمر الدستورية والنظام القانوني، والقيام بانتخابات حرة وعادلة ومتعددة للمكاتب والمؤسسات التي تم إنشاؤها، وتمثيل النساء بشكل كامل في جميع مراحل وقضايا الانتقال.

هل وافقت الحكومة السورية على حضور جنيف ٢؟

الحكومة صرحت أنها ستحضر المؤتمر بحسب «مبدئها». لكنها صرحت أيضاً أنها لن تتعامل مع «الإرهابيين»، بينما تحطت تقريباً ذكر هؤلاء الذين يعارضونها أيضاً. كما أنها أصرت مراراً وتكراراً على أن أي حل سياسي لا يمكن أن يتضمن تنحي الرئيس بشار الأسد عن منصبه في رئاسة الجمهورية، كما كان قد طالب التحالف الرئيسي في المعارضة (الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية).

في ٢٤ من حزيران صرح وزير الخارجية السوري وليد المعلم أنه لن يذهب إلى جنيف لتسليم السلطة للطرف الآخر. في تلك الأثناء قال بشار الأسد إن أي شيء سيتم الاتفاق عليه يجب أن يثبت في صناديق الاقتراع.

هل ستكون المعارضة موجودة؟

الائتلاف الوطني رفض الكثير من النداءات التي تم توجيهها إليه من قبل داعميه العرب والغربيين لإقناعه بحضور جنيف ٢.

لكن في ١١ تشرين الثاني، وبعد يومين من المباحثات في اسطنبول، المجلس العام في الائتلاف صوت على الحضور بشرط تحقيق عدد من المطالب.

ماذا يوجد خلف هذه المبادرة؟

تقول الأمم المتحدة إن أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص قتلوا منذ انطلاق المظاهرات المناهضة للرئيس بشار الأسد في آذار ٢٠١١. ما يقارب تسعة ملايين آخرين تم تهجيرهم من منازلهم.

في أيار ٢٠١٣، اتفق وزيراً خارجية كل من الولايات المتحدة جون كيري ونظيره الروسي سيرغي لافروف على تجربة «جلوس كلا الطرفين على الطاولة» لإنهاء سفك الدماء. السيد كيري قال بأنّ البديل عن هذا الحل سيكون: «الاقتراب من الهاوية، أو حتى السقوط في الهاوية والدخول في حالة الفوضى العارمة». على أية حال فإن المحاولات الأساسية لإقناع الطرفين بالاجتماع مع بعضهما فشلت.

لكن مبادرتهم لقيت أهمية أكبر بعد الهجوم بالأسلحة الكيماوية على ضواحي دمشق، والتي تسببت بمقتل المئات من الناس في ٢١ آب ٢٠١٣. في ٢٧ من أيلول، اعتمد مجلس الأمن الدولي بالإجماع على القرار ٢١١٨، والذي طالب بتدمير أو إزالة مخزون السلاح الكيماوي السوري بحلول منتصف ٢٠١٤.

ودعا أيضاً «بأسرع وقت ممكن» للاجتماع من أجل مؤتمر دولي عن سوريا، لتنفيذ البيان الرسمي لمؤتمر جنيف، وانضمام جميع الأحزاب السورية وارتباطها بشكل جدي وبناء. وبذلك يمكن اعتبارها إنجازاً للاستقرار والتصال.

في ٢٥ من تشرين الثاني، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون أنّ المباحثات ستعقد ٢٢ كانون الثاني في جنيف. كما قال الأمين العام: «نحن متجهون إلى جنيف محملين بالأمل، مؤتمر جنيف هو الأداة لانتقال سلمي يلي تطلعات كل أطراف الشعب السوري بالكرامة والحرية، ويضمن الأمان والحماية لجميع الأطراف في سوريا».

ما هو البيان الرسمي لجنيف ٢؟

تم نشر البيان الرسمي في ٣٠ حزيران ٢٠١٢، بعد اجتماع في مدينة جنيف السويسرية من قبل مجموعة العمل من أجل سوريا المدعومة من الأمم المتحدة. المجموعة تضمنت: الأمم المتحدة، جامعة الدول العربية، الاتحاد الأوروبي، الصين، فرنسا، روسيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة، تركيا، العراق، الكويت وقطر، والثلاثة في النهاية يمثلون أجسام وزارات عربية مختلفة.

الكوميديا في الحكاية الشعبية الكردية

أحمد اسماعيل اسماعيل



حلب، الأشرافية - عدسة حمزة الجسري

بالدلالة وروح المرح، حين يعلم الزوج زوجه بأن الكوفية سقطت في البئر، وينتظر التاجر الرد الذي يشفي غليله ويرضي طموحه، إلا أن زغرودة الزوجة التي تطلقها، وتهللها لسقوط الكوفية في البئر، لا زوجها، تطلق العنان جامحاً للمفارقة. هذه الحكاية، بجوارها السلس وشخصياتها الفكاهية، وجبكتها الفنية المتقنة، لا تحتاج إلى كبير عناء في حال مسرحتها، فقد مسرّحها الخيال الشعبي بإتقان في مدهش. وفي التراث الكردي العديد من الحكايات الساخرة الشبيهة بهذه الحكاية. وما يلفت النظر في العديد من الحكايات الشعبية، أن بطلها الرئيس يكون عادة رجل الدين، المعروف ب(الملا)، ممثل الدين في الثرى الكردية وخاصة في فترة سيادة الإقطاعية. فمن ناحية، يُعتبر هذا نقداً من المجتمع لهذه الشخصية، النقد المبطن لاستغلال الدين، والدور السلبي للكثير من رجاله، في حياة الكرد الاجتماعية والسياسية (دون أن تغفل عن الدور المشرف لبعضهم الآخر، وخدماتهم الوطنية والثقافية الجليلة)، ومن ناحية أخرى يدل على روح التحرر لدى هذا الشعب. والملا في هذه الحكايات شخصية مآكرة يغلب عليها طابع الشبق الجنسي، السمة التي أصبحت رمزاً في الذاكرة الشعبية الكردية. هذه الشخصية الفكاهية الرئيسية في الحكايات الإنسانية، تقابلها شخصية الثعلب الفكاهية في حكايات الحيوان، الثعلب المعروف بمكره وخبثه، ونموذجية انهزامه في نهاية كل حكاية. والجدير ذكره، أن الفكاهة كانت موجودة بقوة، بهذا القدر أو أكثر أو أقل، في مختلف أشكال التعبير الشعبي، كالغناء والألعاب والطرف، وربما يتاح متسع لمناقشتها في مقالات قادمة.

القروي عابراً آخر لا يتبعه حيوان هذه المرة، وإنما يعتمر كوفية، وبعد حوار رشيق ومرن -لنا أن نتخيل ما فيه من كوميديا كامنة- يقتنع القروي بأفضلية الكوفية على الديك وتم المبادلة الثالثة. إن الحوار الخصب والفكه الذي يجري في كل موقف، وما ينتج عنه من تراكم وتصاعد الحدث، إضافة إلى نمط الشخصية المضحك منها، هو مصدر غني للكوميديا الكردية، إذا أمكننا الحديث عن شيء كهذا. يصادف هذا القروي بئراً، وفي سعيه لإخراج الماء من البئر ليروي ظمأه، تسقط الكوفية عن رأسه، الأمر الذي يجزئه ويروعه، فيجلس إلى جانب البئر يبكي بقرته التي سقطت فيه. وتستوقف حكاية سقوط البقرة في البئر تاجراً عابراً، وبعد أن تتضح له حقيقة الحكاية يُذكر القروي بما سيقه في البيت من صراخ الزوجة ونفورها، إلا أن الأخير ينكر أن زوجته ستقابل بهذا الشكل، فيترهان على موقف الزوجة، فإذا ثارت المرأة في وجه زوجها أخذها التاجر منه، وإذا حدث العكس دفع التاجر ثمن البقرة. وهنا يحدث ما يشبه التحول في مسار الحكاية من ناحية الهدف والشخصية المضحك منها، فينقلب ضحكنا من ضحك على غفلة الزوج، نتيجة إحساسنا بالانتصار أو التفوق عليه من ناحية الوعي، إلى تعاطف معه وضحك على التاجر للسبب ذاته، لأن التاجر وبسبب من غروره، يصبح فريسة إحساسنا بالتفوق عليه، ويزداد ضحكنا أكثر من خلال رد المرأة على خيبات زوجها، نخبة سعي التاجر في الوصول إليها والنيل منها، الأمر الذي يحقق ما تصبو إليه الحكاية من تحقيق المفارقة الكوميديا، حول التاجر الذاهل لما يحدث، الذي يكتمل ذهوله في ختام الحكاية، في الموضوع المشعب

حوت الحكايات الكردية الكثير من أحوال وأخبار الكرد، في ماضيهم البعيد والقريب، منها الواقعي الحقيقي، ومنها الخيالي الوهمي، وفي الكثير منها الحقيقي والوهمي، الواقعي والخيالي، بحيث يكون كل ذلك ممزوجاً ببنية عالية صاغها المخيال الشعبي، الذي لم يقتصر على سرد وصياغة أحداث الحياة المؤسسة، كالحرب والغزوات والقتل والحب المعذب.. بل حفل أيضاً بحكايات مشبعة بروح المرح والفكاهة التي تعبر عن طبيعة الكردي المرح الخفية و الزاهية كثيابه الجبلية.

وهذه الحكايات متنوعة، غير جامدة على شكل واحد في الصياغة، من ناحية الموقف أو الشخصية.. إلخ، وفي نماذج كثيرة، تتقابل الحكاية الكردية مع نظيراتها من قصص الشعوب، كفنّ (المهارة) الهزلي في أوربا إبان صعود البرجوازية، ومن نموذج هذه الحكايات لدى الكرد، حكاية الرجل المغفل الذي تاه عن بيته وزوجه ونفسه نتيجة تدبير خبيث من الزوجة والعشيق، الذي تشبه بالزوج في كل تصرفاته وأحاديثه، وما يميزه كشخصية مستقلة، إلى أن التيس الأمر على الزوج، فخلط بين شخصيته وشخصية العشيق، وفي كل موقف وحدث يقترب العشيق من الزوجة فيه أكثر، يبتعد الزوج عنها وعن بيته ونفسه أكثر، وفي كل مرة يطرح الزوج على نفسه سؤالاً غريباً: -إذا كان هذا (يقصد العشيق) أنا.. فأنا، من أنا!؟

إن تكرار هذا السؤال في المواقف والأحداث المتتالية، ونمط شخصية الزوج الذاهلة، والحوار الخصب الذي يشع بروح المرح الخفيف، مصدر من مصادر الضحك الأساسية في هذه الحكاية خاصة، والمادة الضاحكة عامة. وفي حكاية أخرى مناقضة في موضوعها، متجاوزة ومتقدمة في فكاهتها، وتعبّر بحق عن الروح السمحة لدى المرأة الكردية، نقابل ذلك الرجل الذي غادر قريته ذات صباح متوجهاً إلى المدينة، ليبيع بقرته التي اصطحبها معه، وفي طريق العودة تجري معه أحداث ساخرة، تثير ضحكنا بسبب سلوكه البسيط والساذج، الذي يكشف عن شخصية حمقاء. بداية يصادف عابراً يصطحب خروفاً، فيقترح الأخير عليه مبادلة الخروف بالبقرة، بعد أن زين له حال الخروف، وقلل من شأن البقرة.. وتم المبادلة، ويتم القروي طريق الذهاب، ليصادف عابراً آخر معه ديك، وبعد أن يعظم العابر من أهمية ديكه، ويقلل من أهمية الخروف، يقترح على القروي مبادلة الحيوان وتتم عملية المبادلة الثانية، وفي متابعة مسيره يصادف

كرد سوريا، والحصار مرتين..

نوبار اسماعيل



عدسة جيفارا نبي

وحاجيات المستشفيات، وتفشي البطالة.

يقول الدكتور (عبد الكريم عمر)، السياسي وعضو (حركة المجتمع الديمقراطي): «إن الأزمة التي ضربت الشعب السوري كانت بمثابة الزلزال، كانت الخطوة الأهم لدينا لحماية شعبنا الكردي ومناطقنا من الدمار، غير أن الحصار جاء من النظام السوري من جهة، والجماعات التكفيرية من جهة، والدولة التركية من جهة ثالثة. وفي ظل البروباغندا الإعلامية التهويلية، المدارة من أطراف إقليمية، ساهمت بدورها في تصعيد ظاهرة الهجرة من مناطقنا، لذا نسعى لفتح معبر (تل كوجر- البعريية) بعد دحر المجموعات الإرهابية من المنطقة، كداعش) و(جبهة النصرة)، بغية توفير المواد الإغاثية».

وجد أبناء المنطقة الكردية أنفسهم أمام خيارين اثنين، إما مواجهة الحالة المفروضة عليهم وبكافة الوسائل، أو أن يسلموا أمرهم لمغادرة البلاد والنزوح منها، ونافلاً أن كلا الخيارين، ستكون له تداعياته السلبية على مسار حل القضية الكردية في سوريا.

وتعليقاً، يضيف (عبد الكريم عمر) بقوله: «نرى بأن الهجمات الإرهابية، التي تعرضت ولا تزال تتعرض لها مناطقنا، كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى تخوف السكان وإقبالهم على الهجرة والنزوح، كما أن تدهور الوضع المعيشي وانعدام المواد الغذائية والأدوية الطبية وفقدانها، وانعدام فرص العمل أيضاً، كانت السبب وراء هجرة السكان من المنطقة الكردية».

عليه فقد أصبحت المنطقة الكردية تعيش بمعزل عن المناطق السورية الأخرى، نتيجة انقطاع الطرق منها إلى المناطق والمحافظات الأخرى، الأمر الذي أثر على حركة التجارة بشكل كبير، علاوة على فرض الأتاوات على البضائع المارة إلى المنطقة،

محافظات سورية أخرى بحثاً عن لقمة العيش.

وبالرغم من أن المنطقة ذات الغالبية الكردية، تُعتبر المخزون الاقتصادي الأكبر للدولة السورية، إلا أن سياسة التهميش والقمع مورست بحقها في سحاء، وانتهى الوضع بسوريا بعد جملة من الاحتناقات المتتالية والاحتقان الداخلي، إلى الثورة ضد الظلم والتسلط، وقمع الحريات العامة.

بقيت هذه المنطقة، بمعزل عن الخراب والدمار في بدايات الثورة السورية، مما حدا بغالبية المهاجرين إلى الداخل السوري، من أبناء المنطقة الكردية، للعودة إلى منازلهم، هرباً من آلة الحرب، في المحافظات التي كانوا يعملون فيها بحثاً عن لقمة عيشهم.

ولكن التصعيد الكبير الذي شهدته الثورة في مراحلها الأخيرة، أدى إلى فرض حصار قاسٍ على المنطقة الكردية، فتقطعت بالناس السبل، بهذا الصدد يقول الملا: «في ظل الثورة السورية، يعيش أبناء شعبنا حصاراً فوق الحصار، وتأتي معوقات العيش علينا بالتوالي، علماً أن ظاهرة البطالة أصبحت منتشرة في عموم سوريا بعيد اندلاع الثورة، وليست في المنطقة الكردية لوحدها».

وكانت هجرة العوائل الكردية، إلى دول الجوار والدول الأوروبية، نتيجة مباشرة للأوضاع المتأزمة التي تمر بها البلاد، في ظل غياب تام لبوادر فض النزاع العسكري وحققن الدماء، كما أن المواجهات التي تجري حول المدن والقرى الكردية، بعد أن قررت الجماعات الإسلامية المتطرفة ترك جبهات القتال ضد النظام المجرم وتوجيه بنادقها ومدافعها إلى المناطق الكردية، فرضت حصاراً وحشياً على الشعب الكردي، ما نجم عنه ارتفاع أسعار المواد التموينية بشكل كبير، واستمرار إغلاق المنافذ التركية مع المناطق الكردية، وعدم توفر الأدوية و المواد الطبية

ليس أمراً جديداً، ما تشهده المناطق ذات الغالبية الكردية في سوريا، من تدهور للوضع المعيشي، وتفاقم ظاهرة الهجرة خارج البلاد وداخلها. فقد عانى أهالي هذه المنطقة الجور والبطش والتعتيم من النظام البعثي، ومن سبقهم من الحكام، منذ أكثر من أربعة عقود.

زمن حُكم حافظ الأسد، كان السكان في هذه المناطق، يصارعون الحياة نظراً لقلّة فرص العمل والوظائف، وانعدام الإمكانيات، ومنع السكان من بناء المشاريع الصغيرة الخاصة، الأمر الذي ألقى بظلاله على الوضع المعيشي لدى السكان.

وعُرف آنذاك عن الأهالي استذكارهم لأيام عبد الناصر، «وكان أيام جمال تعود»، في إشارة إلى المجاعة أيام حكم جمال عبد الناصر، زمن الوحدة بين سورية ومصر، الأمر الذي دفع بتفاقم أزمة الحياة من ناحية، وبالسكان إلى الهجرة، سواء كانت خارجية أو داخلية، علاوة على تفشي ظاهرة البطالة بنسب مخيفة في صفوف الشباب. لقد مورست بحق الشعب الكردي في سوريا، مختلف سياسات الاضطهاد والتهجير، ويذكر الجميع «الحزب العربي»، ثم تجريد شريحة واسعة من السكان من الهوية السورية، والقائمة تطول.

بعد تولي بشار الأسد الحكم في سوريا، تأمل الناس خيراً في رئيس جديد قادم من أوروبا، ويحاول أن يسوق لنفسه صورة الزعيم البراغماتي الشاب، إلا أنه كان أكثر بشاعة في سياساته بحق سكان هذه المنطقة، من والده، ومجزرة انتفاضة الكرد في قامشلو سنة ٢٠٠٤، أكبر دليل على ذلك، تلاها المرسوم التشريعي رقم ٤٩ لعام ٢٠٠٨، والذي يقيد بدوره عمليات البيع والشراء العقارية، في المناطق الحدودية، وعدم قبول قيود دعاوى البيع العقاري، في المحاكم وأمام كاتي العدل، ما لم يحصل البائع والشاري على الترخيص الأممي بموجب قرار من وزير الداخلية، وبهذا أصبحت ممتلكات المواطنين من أبناء المناطق الحدودية، تحت وصاية الجهات الأمنية.

يقول (سعود الملا) عضو الأمانة العامة في (المجلس الوطني الكردي)، إن هذه المعوقات ليست جديدة على المنطقة الكردية، نظراً لأن حزب البعث مارس بحق الشعب الكردي، خلال فترة حكمه منذ الستينيات، مختلف المشاريع العنصرية والاستثنائية الحائرة، كسياسة (الحزب العربي)، والإحصاء الجائر. مثل هذه الأمور أدت إلى هجرة الآلاف من أبناء شعبنا، منهم إلى خارج سورية ومنهم من اختار العيش في

وسرد عمر لنا عن تأمين فرص العمل لأبناء المنطقة، وتشجيعهم على البقاء دون الهجرة، بقوله: «إن منطقتنا الكردية تملك الكثير من مقومات الحياة، من القطن والقمح والزيتون والزيت في عفرين، ونبدل كل جهودنا لتخفيض سعر مادة المازوت في مناطقنا إلى ٣٢ ليرة سورية، علماً أن السعر الحكومي لها يقدر بـ ٨٠ ليرة سورية في المحافظات الأخرى».

وأردف بقوله: «نشجع المهنيين لإنشاء البيوت البلاستيكية، مع تقديم مادة المازوت لهم بسعر تشجيعي، يضاهاي سعر المازوت المقدم لأفران الخبز، لزراعة الخضار. كل هذه المسائل تأخذ مكاناً ضمن مخططات حركة المجتمع الديمقراطي والإدارة المحلية أيضاً، للحد من ظاهرة الهجرة التي تعيشها المنطقة الكردية، وتقليل ظاهرة البطالة».

وهكذا، تعيش المناطق الكردية في سوريا، تحت ضغط تحولات اقتصادية واجتماعية عنيفة، وتدفع مع باقي السوريين، ثمن الحرب الطاحنة، والسياسات المريبة للعديد من الأطراف الإقليمية والدولية، وأحياناً كان الهروب من الواقع المفر الأوحده أمام أبناء الشعب الكردي، لتأمين لقمة عيشه والحياة بأمن.

ويبقى الانقطاع المستمر للتيار الكهربائي في المنطقة، سبباً رئيسياً آخر للكساد الاقتصادي وتدهور الوضع المعيشي، الأمر الذي يلقي بظلاله على جميع مناحي الحياة.

الوضع في المناطق الكردية السورية، إذن، لا يطمئن. ورغم انخفاض حدة العنف والقتال فيها، كذلك تبقى المنطقة حتى الآن، خارج نطاق المساعدات والإغاثات الدولية في الغالب، علماً بأن اثنتين من وكالات الأمم المتحدة، وصفت الحرب الدائرة على الساحة السورية في تقريرها بأنها «حرب صامتة على التنمية البشرية والاقتصادية».

وترى شكري أن أصحاب العمل لا يرون داعياً لتسجيل عمالهم في سجلات التأمينات الاجتماعية، نظراً لقلّتهم، وتحرياً من دفع الضرائب المترتبة عليهم.

وتفاقت حركة نزوح السكان من هذه المنطقة، وبخاصة إلى دول الجوار، كتركيا وإقليم كردستان العراق، حيث بلغ عدد اللاجئين في الإقليم، بحسب إحصائيات، ما يقارب ٢٥٠ ألف شخص منذ بداية الثورة، وعليه، تقول (ش. شكري) رئيسة قسم الإحصاء والتدقيق في دائرة الشؤون الاجتماعية في مدينة قامشلو: «بادر غالبية المسجلين في قوائمنا، لسحب كامل مستحقاتهم المالية لدى مؤسستنا، مهما كانت قليلة، إضافة إلى ارتفاع نسبة الاستقالات التي يتم تقديمها بغرض الهجرة».

وتسعى الحركة السياسية الكردية، جاهدة لتوفير الأمن والاستقرار في المنطقة الكردية، كذلك تحاول تأمين مستلزمات العيش والدعم الإغاثي لأبناء المنطقة، على حد قول (سعود الملا) عضو المكتب السياسي في (الحزب الديمقراطي الكردي)، وعضو الأمانة العامة في (المجلس الوطني الكردي): «كمجلس وطني كردي حاولنا جاهدين تقديم الدعم الإغاثي لأبناء شعبنا، من خلال التواصل مع المنظمات الدولية، بالإضافة لمساعدتنا في وقف نزيف النزوح، كي لا تُفَرِّغ المنطقة من أهلها، ونشجع على مبدأ الاعتماد على الذات».

ويبين (عبد الكريم عمر) الأمر بقوله: «محاولتنا تمكين السكان من الاستقرار، تجسدت في رد الهجمات الإرهابية على شعبنا، وتوفير الأمن لهم في المنطقة». وأضاف «سنسعى في حركة المجتمع الديمقراطي، وأيضاً من خلال الإدارة الذاتية التي نعمل على بنائها، لحل المشاكل الاقتصادية للسكان».

وحالات السرقة التي تتعرض لها الشاحنات، وليس مستغرباً بعدها أن يعمد التجار إلى استغلال الوضع، برفع أسعار المواد، ويوضح (شيخموس عثمان) القائم بالأعمال في إحدى مراكز الشحن بين (حلب) و(قامشلو) بقوله: أصبحنا نعيش تحت رحمة تجار محافظة حلب واستغلالهم، نظراً لانقطاع الطرق من المحافظات الأخرى وعدم ورود الشحن منها، فكل المصاريف التي تدفع على البضاعة، أثناء تحويلها إلينا، تضاف على تكلفة البضاعة، هذا إذا لم يتم سرقتها من قبل قطاع الطرق، والجماعات المسلحة -عندها علينا دفع الفدية لتخليصها-، الأمر الذي يرفع من تكلفة السلع، أضعافاً مضاعفة، ويبقي المواطن المستهلك ضحية كل هذه الممارسات».

جملة ما سلف، أسهمت في خلق حالة من الخوف من المجهول، وانعدام توفر فرص للعمل تقي الناس من المجاعة والعوز، وعليه، أردف (سعود الملا) بقوله: «ليس بمقدورنا توفير فرص حقيقية للسكان في مناطقنا، وهذا بسبب المعوقات الحمة التي نواجهها، وانغلاق المعابر الحدودية، من الجانب التركي، ومن جانب إقليم كردستان العراق».

وفي حديثه عن عدم إمكانية توفير فرص العمل لشباب المنطقة، يقول الملا: «في حال الثورة نحن معرضون للحرب والدمار في أي وقت، وخاصة في ظل وجود تنظيمات إسلامية تستهدف المنطقة الكردية، الأمر الذي يمنعنا من إقامة المشاريع الصغيرة، وتوفير فرص عمل للشباب».

وتقول (ش. شكري) في السياق ذاته: «لا يُقبل أصحاب العمل على تسجيل العمال الموجودين لديهم في مؤسستنا، فأصبح الإقبال ضعيفاً بسبب قلة العاملين، لدرجة أن لجنة المراقبة على المعامل الصغيرة وغيرها، لم تعد تقوم بعملها، بغض النظر عن المؤسسات الحكومية».



كرديتي سوريّتي، وسوريّتي كرديتي

آراس حاجي

من الغريب أن تبقى في وطنٍ تدافع فيه عن قوميتك، وعندما تمضي نحو مكانٍ قوميتك فيها وطن، تحنّ إلى وطنك الأول.

هذا ما يحدث دائماً مع الكردي، الذي عاش الأمرين لمدة خمسين عاماً من حكم البعث، يحاول دائماً إيجاد الفرصة للتعبير عن نفسه، وعن ذاته، ويقول دائماً أنّ الكردي هو كردي، وهو ليس بعربي؛ هو له لغته الخاصة به، وتراثه، وتاريخه، وعاداته وتقاليده، وأغنياته التي يرددّها في محافله الخاصة، كان دائماً يحاول أن يُفنّع الآخرين بأنّ كونه كردياً لا يعني ذلك بأنه ليس سورياً.

سوريا الوطن الذي جاب قلوب الجميع، ومع بدء الثورة السورية، أثبت الكرد أنّهم لا يتخلون عن سوريا الوطن، رغم ويلات الثورة، والحصار الممنهج، والضغط النفسي الذي تعرضت له المناطق الكردية، والتي أدت إلى هجرة قسم كبير من شبابها إلى الدول المجاورة، أو إلى تلك الدول البعيدة، حينها أصبح قسمٌ من الكرد في إقليم كردستان العراق، وقسمٌ منهم في المنطقة الكردية من تركيا، وهنا تلاحظ دائماً كيف يكون الحنين دائماً للعودة إلى سوريا رغم أنه الآن في كردستان!

عندما تفتح دفاتر ذكريات الشباب الكرد، تجدها صفحات سوريا ملوّنة، تجد فيها الشام، ورائحة الياسمين الشامي، ترى فيها شوارع الحميدية، وجامعها الأموي، حيث كان أول مكان يأخذ الكردي فيه زائره ليريه حضارة أجداد الشام، ليرى على باب الحميدية تمثال صلاح الدين الأيوبي، ذلك الكردي الذي حرر القدس، وأنشأ إمبراطوريةً تحتضن فيها جميع القوميات دون تمييز.

في صفحة الشام ترى قاسيون ترى ذلك الجبل الأشم الذي يطل على كل القلوب الدمشقية، عندما ترى جميع الأنوار التي تشع من كل البيوت الشامية، عندما ترى من هناك ساحة الأمويين، وهي تضج بالحياة، في صفحة حب الشام، ترى شوارع الصالحية، والحمراء، وترى ساحات الشام الجميلة ترى ركن الدين أو حي الأكراد كما يسمى، ترى تلك المدينة الجامعية، التي كانت كل غرفةٍ فيها تحتضن العديد من القلوب السورية، والتي كانت من مختلف المشارب، حيث كنت ترى الحمصي والدرزي، واللاذقاني، والجزراوي في غرفةٍ واحدة، يتكلمون لغةً واحدة، وينهل كل منهم من لغة وثقافة الآخر، عندما كنت ترى في تلك الساحات مئات الشباب مجتمعين، لا يمانعون الاختلاف في القومية، واللغة، بل



مظاهرة في الأشرافية - حلب

وغيرها من مدنه السورية، عندها فقط تعلم لماذا يحن الكردي إلى سوريته، ولماذا يفتخر بكرديته، ولماذا لا يحب التخلي عن أي منهما.

يحن إلى عاداته التي تعلمها في سوريا، يحن إلى شرب الماء في جداول الماء، إلى الحمص، والفول، والفلافل فهي وجباته الشعبية البسيطة، يحن إلى السير بانكشافٍ دون الخوف من شيء، فلا أحد يستطيع منعه من السير في طريقه، إلى وتر // الطنبور // الكردي الذي يشدو أجمل الألحان، وإلى وتر العود الخزين، إلى همسات وكلمات «نزار قباني»، وإلى «حكرخوين»، وهو يشدو أجمل الكلمات، يحن إلى تلك الروح التي تطير في هواء سوريا، إلى تلك الجميلة التي أحبها كتراب سوريا، إلى تلك الكردية التي عشقها، والتي ما من غير سوريا تجتمع بها، يحن إلى ذلك الموت بين ذراعي وطنه الجميل، وينام دائماً في كابوس الموت في منفاه.

يحن إلى تلك العصفير، وإلى حبات المطر فحتي حبات المطر في المنفى لا تروي عطشك العشقي الجارف، ولا تعبر عنك بكلماتها، إلى ذلك السماء، وذلك القمر المشرق في تلك الليلة، فقم سوريا أجمل من أي منفي، إلى ذلك العشق الذي يملأ قلبه حينياً وشوقاً لسوريته ولكرديته.

عندما تعلم مدى الحنين في قلبه، تدرك لماذا يستميت الكردي في الدفاع عن أرضه، عن وجوده عن لغته، وعن تاريخه، ولماذا تجرح قلبه كلمات تدعوه بالانفصالي؟؟ تعلم كم عشق ذلك الشاب وطنه، وكم عشق لغته، وكم عشق سوريا، وكم عشق كلماته الكردية البسيطة، وكم عشق معها كلماته العربية التي درسها، وتعلمها، ونطق بها حينها ستعلم بكل تأكيد لماذا لن يتخلى الكردي عن سوريته، ولن يتخلى عن كرديته.

ضف إلى ذلك أنّهم يجذبون ذلك الاختلاف. مرةً أخرى عندما تقلب صفحات ذكريات الكردي، وترى فيها حلب الشهباء، ترى شوارع حلب الجميلة، ترى قلعة حلب التي تعانق تاريخ سوريا بأكملها، أما عندما تمضي، وترى الساحل السوري، بلمح البصر تجد نفسك بين دفات ذلك البحر الهائج تارةً، والهادئ تارةً كحوض حبيبٍ دافع، عندما ترى حمص الأبية بساحاتها الجميلة، والفتية، النظرة المشتاقة للحرية، والتخلص من العبودية حينها تدرك بأنّ النصر قادمٌ لا محالة، أما إذا رفرفت لى جسر دير الزور المعلق، فسترى كم من الحسرة خلفها دمار ذلك الجسر الأنيق الجميل، أما عندما يذكر اسم حماه تلك اللؤلؤة المكنونة التي تزخرها النواعير، حيث تُسر، وتبهج العيون لمجرد رؤيتها، هي مدينة النواعير التي غدر وقتك بها الطاغية الأب حافظ من ذي قبل، ليحدد ذلك الابن سائراً على خطى أبيه القذرة حيث وبدوره لم يكتف بحماة وحدها بل سوريا بأكملها.

عندما ترى كل الصفحات قد اكتظت دموعاً مملوءاً بالحزن، والكآبة لدمار سوريا، حسرة على ضياع أيام في مدينة سورية، وعندما تصل إلى الصفحة الجميلة الأخيرة التي في قلبها، وترى مدنه الكردية، ترى قامشلو، وعفرين، وعامودا، وديرك، عندها ترى عشقاً لمدينته الجميلة، وترى بعدها عشقاً لمدنه السورية الأخرى، عندما ترى أنّ قامشلو هي مصفوفة في ذكرياته، بعفتها، وبساطتها، وعندما تقع عينك على تلك الوجوه المبتسمة المظلة من شرفات البيوت، عندها تحن إلى شوارع مدينة نجبها لأنها كردية، وتحبها لأنها سوريا، وترى كيف تستند قامشلو، وعفرين، وعامودا، وديرك جنباً إلى جنب مع دمشق، وحمص، وحلب، وحماة، وطرطوس، ودير الزور

عرائس الجولان بين عدسة الواقع وعدسة السينما

علي سفر



لقطة من فيلم عروس سورية

المشاهد توجه المخرج صوب هذه القضية من زاوية التقاط الفكرة ونزعها من سياقها، باتجاه تكريسها بوصفها حالة، فإن الفيلم لن يكون بريئاً من مسعاه لخلق نسق بصري وفكري مضاد لما تمت صناعته بتكريس صورة العروس الجولانية السورية.

المقارنة بين توجه فيلم «العروس السورية» لتبرئة الإسرائيليين من جريمة احتلالهم للأرض وتدميرها وتشريد سكانها، وبين الواقع الراهن، حين يمنع الاحتلال العرائس عن الذهاب إلى أزواجهن، تضع المتلقي في مواجهة مع عقلية سينمائية ترى أن الواقع شيء والسينما شيء آخر، فلأول تلك المعاناة وذلك الانتظار الذي قد يمتد ليصبح عمراً كاملاً، بينما للسينما البراعة في الالتقاط، وبما يرضي مُشاهداً، تعود على أن يصنع له المخرجون أفلاماً مسليةً وممتعة، ترضي الجميع من نقاد وسياسيين ودعاة سلام يلبسون الأكف البيضاء.

(حاز الفيلم أربع جوائز في مهرجان مونتريال الدولي لعام ٢٠٠٤، كما حاز جائزة الجمهور في مهرجان لوكارنو ومهرجان غانبت في العام نفسه، والجائزة الكبرى في مهرجان أوكازار، ونالت هيام عباس جائزة أفضل ممثلة عن هذا الفيلم في مهرجان باسستيا ٢٠٠٤).

وإذا أردنا أن ننهى تأملنا لهذه المقاربة بشيء، فإن خير ما يمكن أن يقال في رأينا، أن ما تصنعه كاميرات السينمائيين، أو الإخباريين الذين يلاحقون الخبر السبق، ليس هو الحقيقة، الحقيقة في تفاصيل وأيام الجولانيين أنفسهم، الذين يشكلون خزاناً كبيراً من الحكايات، غالباً لا تنتهي بنهايات سعيدة، لكن بلحظات عالقة بين الذرى الدرامية، تبدأ من لحظة الاحتلال، وتمر عبر عشرات السنين في منعطفات ودروب، تعلق على الجغرافيا، وعلى التفاصيل الاعتيادية، ولا تنتهي إلا باستعادة الأرض.

وضمن الأفلام السورية والعربية والعالمية المنجزة عن قضية الجولان، لم تكن مشكلة أبداً، فهن يعبرن بين جزئين من الوطن السوري الواحد، ولكن الجغرافيا كانت محوراً في الفيلم الروائي «العروس السورية» للمخرج الإسرائيلي عبران ريكلير، وكاتبة السيناريو الفلسطينية-الفرنسية سهى عزّاف، فهنا، في هذا الفيلم المنتج إسرائيليّاً وأوروبياً في العام ٢٠٠٤، يحاول صناع الفيلم، بقصد أو بغير قصد، إفراغ الأيقونة البصرية من حمولتها البلاغية العالية، والذهاب صوب التفاصيل التي أتخمت القصة، ووطنت الفرضية الدرامية خارج فضاءاتها، ففي الفيلم الذي يتحدث عن محاولة عبور عروس جولانية إلى وطنها، يقوم الموظف الإسرائيلي بختم جواز سفرها بالختم الإسرائيلي، ليصبح عبورها سفراً من بلد إلى آخر، وحين يرى الضابط السوري الختم الإسرائيلي يرفض إتمام عملية العبور، ويطلب محوه، فالعروس تعبر من جزء إلى جزء آخر من بلدها، ولا تسافر من بلد إلى بلد، وهنا لا تغيب عن المشاهد النبيلة المحاولة الساذجة لتكريس صورة الموظفين الإسرائيليين كمتعاونين، وإظهار الموظفين السوريين بيروقراطيين يتوقفون عند «الشكليات» دون أن يهتموا بالمسألة الإنسانية، وحيث تذهب الضابطة في قوات الفصل (الإندوف) في رحلة مكوكية بين نقاط كل من الطرفين، فإن صورة السوري البيروقراطي تتكرر، وينسل الإسرائيليون من جوهر المشكلة (الاحتلال)، ويلعب المشاهد مع العروس على الجهة المقابلة، وكأن عقدة المشكلة هي هذه الجغرافيا، وليست بقاء الجولان محتلاً! وإذ ينهي المخرج الإسرائيلي فيلمه علي مشهد العروس، وهي تعبر باتجاه وطنها، دون أن تنتظر حل «الإشكال الإداري»، فإن ما يخرج به المشاهد من تعاطف يذهب صوب الشخصية، لا صوب القضية الأساسية (وجود الاحتلال)، وحين يقرأ

تكرست صور العرائس السوريات وهن يعبرن الممرات والحوازر، لتصبح واحدة من أيقونات الاشتغال الإعلامي على موضوعة الجولان السوري المحتل، فضلاً عن الكناية الرمزية لصورة العروس في ثوبها الأبيض، فإن هذه الصورة المبهجة، تتناقض كل التناقض مع المركزية البصرية القاسية، التي يفرضها وجود الحاجز العسكري للمحتل الإسرائيلي أولاً، وكذلك الحاجز الأزرق لقوات (الإندوف) ثانياً. حرارة مشاهد مغادرة الصبايا للوطن باتجاه الأرض المحتلة منه، وما يعني ذلك من عدم القدرة على العودة بشكل طبيعي لزيارة الأهل، كانت وما زالت توقد دموعاً تُكسب الصورة بعداً إنسانياً يصعد من بلاغته، وليصبح مجرد وجود الصورة هذه في أي وسيلة إعلامية، ملفتاً وملخصاً وشارحاً للقضية الأساسية والأهم، احتلال إسرائيل للجولان.

حكاية هذه الصور يعرفها المواطن السوري وكذلك العربي، منذ زمن طويل يعود إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، حين أنجز الإعلامي (توفيق الحلاق) صاحب البرنامج الشهير «السالب والموجب»، فيلماً وثائقياً حمل عنوان «زواج ربيعة»، وثق فيه زفاف الشابة ربيعة منذر إلى ابن عمها في قرية (عين قية) المحتلة.. الفيلم الذي أنتجه التلفزيون العربي السوري، ويؤت عام ١٩٩٠ صنع أيقونة العروس السورية إعلامياً، وجعل من هذه الصورة مادة ممتازة لكافة المحطات التلفزيونية الغربية، وأذكر أننا قد شاهدنا في أزمنا متعددة تقارير عن العرائس السوريات في عدة محطات منها الـBBC، والـCNN، والـTV، وقد أسهم كاتب هذه السطور منذ عدة سنوات في إنتاج فيلم لصالح قناة الجزيرة الإنكليزية، أخرجها المخرج السوري عبد الحي حمود، احتوى مشاهد من هذا الطقس الذي كان يحمل ضمن حمولته ملامح التحدي لسلطة المحتل، بالإضافة إلى لقاء مع ربيعة منذر في قرية (مجدل شمس) المحتلة، أنجزه فريق القناة في فلسطين المحتلة، ولقاء مع أهلها في منطقة (جرمانا) أنجزه فريق إنتاج الفيلم في دمشق، ولعل أروع ما صنعه المخرج في هذا الفيلم كان ذلك الحوار الهاتفية المصور بين ربيعة وأهلها، بالإضافة إلى لقاءهما على جانبي «وادي الصراخ» بين قرية (مجدل شمس) المحتلة وقرية (عين التينة) المحررة! الجغرافيا في مسار حركة العرائس السوريات،

فرقة سما، أو الغناء داخل الأسوار

تحقيق: خضر سلمان



شاطئ طرطوس

ربما أن الطابع الساخر هو الطابع الأول الذي ينتظم أغاني الفرقة جميعاً. نحاول أيضاً أن نتجنب المبالغة، انتماؤنا للمدينة لا يقال، ربما قد يظهر في تحليل بنيوي للعمل، لا أدري، لا تنس أيضاً أن من أعضاء الفرقة من ليسوا من طرطوس أصلاً، وإن يكن العمل قد تم هنا. المهم الثوري والوطني، في إطار غنائي غير مبالغ فيه، هو السمة الأولى، على ما أظن، التي يمكن أن نطلقها عن الفرقة، دون أن نكون نازلين.

سألناه: هل تحمل (فرقة سما) رسالة سياسية؟ أجاب: «إن كانت السياسة هي ذلك النشاط الذي يستهدف حل مشاكل المجتمع، والعمل على ضمان حقوقه وصيانة حياته ورفاهه وحرية، ف نعم، هي بكل بساطة تحمل رسالة حرية وكرامة ومواطنة».

لا يبدي العازف الشاب، ندماً على الانخراط في الثورة، مع أنه يرى أنها ذهبت في اتجاهات أخرى، ويقول إنه يحب الجيش الحر، لأنه الوحيد القادر على إنجاز الخطوة الأولى على طريق تحقيق أهداف الثورة في التحرر، أي إسقاط النظام. «إنه ملاذنا الأخير...». يقول أيضاً:

«تري، لو علمنا منذ البداية أن هذه الثورة ستؤول إلى كل هذا الدمار، هل كنا لننخرط في النشاط الثوري بنفس الحماسة؟ لا أدري في الحقيقة. أنا عاجز عن الإجابة عن هذا السؤال. الثورة خيار مبدئي، لكن كل هذا الدمار هو فوق احتمالنا» يقول عباراته الأخيرة في مرارة..

«الآن لا أرى حلاً في الأفق، ولم نعد نجرؤ أن ننتظر شيئاً أو نتفائل، لكنني أزعج أن نظام الأسد لن يسقط ما لم يقرر الغرب ذلك ويتدخل، على المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤولياته الإنسانية، لكن السياسة كما يفهمها ساسة العالم اليوم، على ما يبدو، ليس من مفرداتها الاكتراث للشعوب صاحبة القضايا العادلة...».

ينفث نفساً من سيجارة مات نصفها في الحديث، يمسك عودته، ويشرد في مكان بعيد..

في إحدى الدول العربية، عن زمن تأسيس الفرقة. يقول إن الأمر بدأ بأصدقاء يجيدون العزف والغناء، كثيراً ما يقضون الوقت معاً، ويجمعهم الاهتمام بالشأن السياسي، بدؤوا بكتابة أغنيات تطال شخص الرئيس ونظامه مبكراً، قبل الثورة، «منذ استلامه السلطة»، يؤكد الشاب، ويقول مردفاً: «(كرسي)، (مواطن مرتاح).. إلخ. هذه أغنيات عملناها قبل الثورة بزمن ليس قليلاً. محورها جميعاً كان رفض الاستبداد والتسلط الأمني على المواطنين».

لم يكن غريباً إذن، يكمل محدثنا، أن يجتمع هؤلاء الشباب المتفوقون على رفض الاستبداد وعداء النظام، على الانحياز للثورة السورية منذ بدايتها، لذلك أخذ العمل معاً شكلاً أكثر جدية. كل واحد من أعضاء الفرقة كان ينشط في الثورة حسب مؤهلاته وقدرته ومكان إقامته أو عمله.. كل حسب ما يستطيع. عن الثورة والفن، يقول العضو المؤسس في الفرقة:

«الثورة السورية، وخاصة في مراحلها الأولى، تكاد تكون نشاطاً فنياً، موسيقياً بالتحديد. أكثر من نصف وقت المظاهرة كان للغناء، السوريون رفضوا النظام بالغناء والتهافتات المنغومة، هذا كله عدا أن الثورة، هي كما يفهمها أعضاء (فرقة سما)، فعل ثقافي وموسيقى وفعل حرية وإبداع».

في طرطوس، يهتم الناس بالموسيقى وتعليم أطفالهم الفنون عموماً، تجد الكثير من معاهد الرسم والموسيقى، ولا يخلو يوم من أيام مركزها الثقافي، الخاضع للنظام بطبيعة الحال، من نشاط أدبي أو فني، وبإضافة عامل التنوع الطائفي الفريد في المحافظة الساحلية الهادئة، سألنا العازف الشاب، عما قد يكون يميز فرقة سما، في إطار الانتماء الوطني لسوريا، والمحلي لطرطوس، والمبدئي للثورة.

«أعضاء الفرقة هم من ألوان الطيف السوري المختلف، وكلهم أبناء الشارع، نحن لسنا نخباً ونرفض أن نعامل كنخب، نحن أبناء طرطوس الذين يجيدون التعبير عن أحلامهم بالغناء».

(سما باند)، هو اسم فرقة موسيقية شبابية، تصنع أغاني سياسية مناهضة للنظام. تأسست في طرطوس في الأشهر الأولى للثورة، بين كثير من الفرق المشابهة، في سياق دفع الموهبة والإبداع العفوي الذي تكشف عنه الشعب السوري، ما إن أطلق صرخة حرية الأولى.

اللافت أن طرطوس، هي المحافظة الوحيدة تقريباً في سوريا، التي لم يتأثر أهلها بما يحدث (باستثناء بانباس، وقريتين أو ثلاث، من الأقلية المسلمة في المحافظة) اللهم إلا بارتفاع أسعار المواد، واكتظاظ المدينة بالنازحين من المناطق السورية الأخرى، طرطوس هذه، نفسها، استضافت في رحمها «الضيق» فرقة موسيقية تسخر من الرئيس والنظام في أغانيها، ويعمل أفرادها بشكل سري، لا يعلم هويتهم حتى الآن إلا قلة قليلة هم من عملوا معهم، يقولون إن هذا بسبب واقع المدينة الصعب، ففي طرطوس، ما زال الناس يعيشون قبل ١٨-٣-٢٠١١، تاريخ اندلاع الثورة، ولا زالت صور الرئيس السوري (بشار الأسد) تملأ كل مكان كأن شيئاً لم يحدث في البلاد، بينما ريف طرطوس المهمش والمفقر شأنه شأن الأرياف السورية عامة ينزف من دماء شبابه في مناطق النزاع في سوريا، دفاعاً عن النظام، هؤلاء الشباب يتحدر أغلبهم من الطائفة العلوية، ويقولون إنهم معنيون بمعركة النظام لأنها معركة وجودهم، ويسجلون مخاوف من صعود التطرف الديني الذي سيستهدفهم لا بد، على حد تعبير كثيرين.

بصعوبة، وقليل وساطاتٍ ومعارف، استطعنا الوصول إلى أحد أعضاء فرقة سما، الذي لم يشأ ذكر اسمه، بسبب الواقع الأمني في المدينة..

«كنا نظن أن سلمية الثورة ودموية النظام، ستجعل كل الشعب السوري ينحاز للثورة، ليدخل النظام في سياق انهيار سريع، بتلاحق الانشقاقات وخسارة رصيده الشعبي. كان هذا ما ظنناه في البداية. الرهان كان حاضراً على انشقاق الجيش عن النظام، كما حدث في أكثر من دولة من دول الربيع العربي. لم تكن نلاحظ كل هذه الأحقاد التي انفجرت بعدها فجأة، كنا معتقدين أن الدم السوري حرام على السوري، أيضاً كانت التجربة الليبية ما زالت طازجة، وكنا مطمئنين إلى حتمية تدخل الغرب في حال تهادى النظام في انتهاك القانون الدولي وارتكب جرائم ضد الإنسانية، لكن شيئاً من هذا، للأسف، لم يحدث...».

يحكي المؤلف الموسيقي للفرقة، وأحد عازفيها الرئيسيين، وخريج واحد من معاهد الموسيقى المحترفة

فيلم قصير

عدسة عبد حكواتي

المشهد الثاني (صداقة مفروضة)

انسَلَّ الطفل من فجوة في السقف، بحث الطفل عن جرحه، الجرح كان يبحث عن الطفل، فكر الجرح ملياً، من أين أتى الطفل إلي؟ يبدو أنه ليس من بعيد، ربما من قربه تجلس الأرامل أمام بيوتهن بانتظار الأطفال المحملين بأقصى حدود البسمة. جلس بقرب جرحه على تلة الركام، اتفقوا بعد جدال: لن نترك القذيفة في عزلتها، يحدث الطفل نفسه: ربما تحمل بصمات من نعرفهم في الطرف الآخر من المدينة، جلست القذيفة بقربيهم. حتى القذيفة لا تعلم من أين الطفل جاء، ولكن ليس من بعيد، ليس من مدينتي هذا الطفل لم ينجبه رحمٌ فولاذي، ولا يمكن أن يكون من أمة في أوج مواسمها بحصاد المزيد من الموت. مازال الطفل يبحث عن جراحه وجراحه تبحث عنه، حملوا ما بقي منهم وتركوا القذيفة لعزلتها، ومازال الطفل يبحث عن جراحه وجراحه تبحث عنه.

المشهد الأول

يرتبكُ الطفل المركون في زاوية الضوء، يختلطُ بألعايه يذوب مع الضوء بنشوة التوحد، وبكل سداجة يستمر التلفاز يعرض حفل كذبٍ جماعي، ويصدرون بياناً دون ذكر اسمه. بالله عليكم، ماذا يفعل حين يقرأكم، يبكي؟

المشهد الرابع (هوس)

هوس يأتيني صوت أمي ينتزع عني التعب «بني دع عنك تعبك وخوفك ما خرجت لأجله يستحق حجم الألم». اليوم ثاني أيام العيد قذيفة من طرفكم أتت على عائلة صديقك هو وزوجته وابنه الصغير، واليوم تأتي أحد صواريخكم لتمسح منزلين بكل من بهم ليتحولوا لرماد. بني مازالت لدينا قدرة على الحياة. قناص النظام مازال يمارس هوايته المملة بنسف بعض الرؤوس في حيننا رغم سيطرته عليه. لن نغادر منزلنا المنهك، هو الوحيد الذي مازال يضمنا بدفء. كن على قيد الأمل، نحن بانتظارك، يكفيني سماع صوتك لأكون بخير.

المشهد الثالث (حلب)

طفلة تلهو على الأرجوحة عجوز يحمل رغيفاً يخرج من معبر الموت شاب يضبط عدسته ليكون الشاهد طائفة ترمي الموت! يطلقُ القناصُ الرصاصة! مهاجر ملثم عابر يكتم الأنفاس!

عمرو .. ح.ح

سماء شديدة الزرقة. فتاة بلا ملامح. جنس بلا ندم. قطة بلا مخالب. قَبَلٌ بلا شفاه. الكثير من المرايا. القليل من الانعكاس. الكثير من العطر. القليل من الخوف. المزيد من الحب.. قمر. أوراق ملوّنة. جنين. حنين. عمرو.. عيون عميقة. موسيقى جديدة. ربع ملحمة. أطفال بلا دموع. نصف أمل. مطرقة.. شطايا زجاج.. ذكرى.. بيوت بيوت بيوت.. قذيفتان. الكثير من الدخان والغبار. شطايا في أجساد ناعمة... أحمر أحمر أحمر.. أريدُ أن أُوَضِّعَ في صندوقٍ من الورقِ المقوّى كُتُبَ عليه: (سريع العطب)، وأرسلُ إلى كوكبٍ آخر. ليس المريخ.. لا أريد كوكباً أحمر. لا أريد كوكباً أحمر.. لم يحدث الكثير بعد ذلك... استيقظت.

الآن. لقد أعدِم. لقد أعدموا عمراً. أعدموه رميةً بالذكريات. كنتُ شارِدَ الدَّهْنِ ذلك اليوم، لدرجةٍ أني استخدمتُ فرشاة أسنان أبي.. ومدينتي.. مدينتي متطرفة، و أنا أكره التطرف، لكنني أحبها مدينتي تفرض شروطها على ساكنيها، اقبل بالشروط أو تعايش مع القلق مدينتي دكتاتور سادي.. وأنا لست مازوخياً لذا.. أكرهها لم تسمح لي بأن أرسم على جدرانها. حاولتُ ولم تسمح لي.. سأرسم على جدران مدينة أخرى الآن، سأحلم على سرير آخر.. سأمرر أصابعي ببطء على جدران مدينة أخرى، لتصلَ لنشوتها... كان حلماً غريباً.. كنتُ في صندوقٍ من الورق المقوى وأشياء كثيرة تحيط بي. شجرة. مقصلة. أعواد ثقاب. شتلة ياسمين. ثدي بلا حلمة. غيمة قليلة المطر. نصف قوس قزح.

سأحتسي الكأس الأخير، لأتمل اليوم وأتابع غداً. أفقد أشياء كثيرة الآن.. «أمشي تحت المطر لأخفي دموعي». سرتُ هذه الجملة من رواية إسبانية مغمورة، كانت نهايتها سعيدة. سرتُ هذه الجملة لأرسلها لصديقتي.. صديقتي.. أعتقد أن لها أجهل نهدين وجدنا في أرجاء المنطقة الشمالية من الكرة الأرضية، لكن في أواخر تلك السنة، بدأتُ أفضل عينيها على صدرها.. أشعر الآن برغبة بالتوقف والجلوس بجانب طريق ريفيٍّ ما و تأمل الحجارة، أريد أن أرسم أيضاً.. أرسم كل شيء.. كل التفاصيل.. أسير في شوارع من رمي أنا، أضع خطوطها ومنعطفاتها ومنحدراتها، وعندما أقرر التوقف: سأرسم مقعداً من الحجر لأنام عليه بسلام. لم أتمكن من فهم شر هذا العالم بعد، كما لم أتمكن من فهم شخصية الثائر، ولم أنجح في تقمصها. على الثائر أن لا يكون أوديبياً... كان ذلك حقيقياً، حقيقياً كالمخيلة. للأسف لم يفهمه أحد.. لو كان عُهرًا لَفَهِمَهُ الجميع، فالعُهر أسهل. كان حقيقياً كالصمت.. «عمرو» كان يفهم الصمت، لكنه ليس هنا

أما أنا، فلست جندياً.. خضر سلمان

ربما لو لم تحدث الحرب كنت سأكتب: «افتحي الشباك لشجرة الليمون هي لم تنبت هنا من أجل الحديث إنَّها مثلي تريد الوصول إلى سريرك» وتنتهي القصيدة لكن صباح دمشق الطالع على الحرب يطلع عليك أيضاً فافتحي الشباك للصباح	فهذه المدينة المنقوعة في الموت والمطر منقوعة في الحب أيضاً إنَّها تتنفس تحت القصف والحب والماء وأنتِ السر والمعجزة جميلات المدن المحاصرة سبب الصباح الوحيد.. يا أبطال الجميع أيها الأنبياء والجميلات أيتها السلالات النقية	المعدبة في الغرف المحجوبة بين أفواه المؤمنين في دفاتر الشعراء أواخر الليل.. تكبرون في الصمت والصلوات وتجعلكم المبالغات أحلى لا تزيدون ولا تنقصون ولا يظالكم الفناصة وأنتم تتدخلون في الحياة لكننا سنتناسل نحن المتعبين تحت	بشبق القروذ السعيدة راضين.. فقط لأنكم بيننا وننحب أطفالنا لاحقاً في مكان الجزرة حين تفتحين شباكك للصباح تستيقظ المدينة مرتين وفي شوارع مررت فيها سيمع الرصاص سيكون بطيئاً بريئاً وهو يمشي مثلك سيُرجم الجميع الليلة	ويظن كل جندي أنها رسالة من إلهه أما أنا فلست جندياً ولا أتواصل مع إلهي محدد أنا الجبان البائس الذي يفكر فيك في وحشة المدن البعيدة ويحسد الموت والحصار والجيش عليك..
---	--	--	---	---

أريد أن أقول عن سوريتي.. جوان سيزو

بـ(المالكية)، و(ترتبه سبي) بـ(القحطانية). أريد أن أعرف ماذا يعني الجرب ومن قلب اسم (كوباني) إلى (عين العرب). يا أخي أنا لم أولد في (معبدة)، أنا من سُكَّان (كركي لُكي)، وُلِدْتُ في (سري كانيه) قبل ألف عامٍ وأكثر، كما أني زرت عفرين لِمرةٍ واحدةٍ فقط، ولم أسمع يوماً بِرأس العين، كما لم أر الجزيرة السورية فارغة منّا نحن الكورد ولم أجد نفسي ضيفاً في سوريا.

أريد أن أعرف الآن، كل سوري قُتِل قبل الـ ١٩٨٢ إلى ٢٠١٣ وكم كُردياً قُتِل في قامشلو حينما كان اسمها «القامشلي» في انتفاضة آذار ٢٠٠٤ والتي امتدت لكافة مدننا. أريد أن أعرف كم كُردياً دخل سجون البعث ولم يعد، أنا لستُ بأناني يا أخي، لستُ بأناني، أريد أن أعرف أيضاً كم هو عدد المهجَّرين الذي ينامون في حدائق تركيا الآن، عرباً وكُرداً، وعدد النازحين في كل دول الجوار. الآن أريد أن أعرف، أريد أن أعرف من هو الكلب الذي منعي من الحديث بلغتي في دوائر الدولة، وأقتله على الفور، فسيجارتي على وشك الانتهاء ولن أطفأها في عينيه، لكنني سأدعُ رُمادها في كَفَّيه، أنظفُهما من قذارة أربعين عاماً، وتعرِّف أنت بكُرديتي وباقي أحويتي، كي أُلِمَّ شَمَل أُسْرَتِي، وأحذف (العربية) من بيانات بطاقتي الشخصية وأقول: سوريا، سوريتي..

الآن يا أخي السوري أريد أن أعرف كم طفلاً مات في حريق سينما عامودا، كما أريد أن أعرف أيضاً من حرق السجن المركزي في الحسكة. أريد أن أبصق على وجه عبد الحليم خدام الذي قال يوماً، وهو في زيارةٍ رسميَّةٍ للدولة التركية، بأن الكورد ضيوف في الجزيرة السوريَّة وليسوا بكثيرين (كم عيلة وبس). أنا على أرضي يا خاين الخبز والملح. سوري، سوري كردي ولسنا كم عيلة، وبالمُناسبة أديت خدمة العلم في (الفوج ميَّة) في رنكوس، وكان أعز أصدقائي من التركمان، وكنا نغني معاً ونسمع مع المسيحي لأرام ديكران ونلصق صورنا بِمِرْطِي المِشمِش على الجدران، نلعبُ كرة القدم مع الشركسي في بعض الأحيان وعندما ننهي الشوْط الأول، نُصالحُ السُتِّي مع العُلوي، وندعو الدُرزي لِشُرب الشاي وهو فُرْحان.

يا أخي اسمعني. أنا مثلي مثلك ولن أقول أحسن منك، وإنما أزيدك بشغلة، وهي أني تَعَلَّبْتُ على سَرْطان يُسمَّى بـ «الحزام العربي» في الوقت الذي كُنْتُ فيه موظفاً في المختبرات الجويَّة فتفتخر بِمِجْرُومة تُسمَّى البعث، وتصفقُ بيدٍ واحدةٍ للطلائع، بينما أنا كُنْتُ أحتفل بالنوروز أو عيد العمال، وأغرس شتلة في عيد الشجرة، أو أشعل شمعة مع جاري الأشوري في رأس السنَّة. يا أخي الآن وقبل أن تحترق أنفاسي بكيماوي الغوطة أريد أن ألعن من سمى (ديريك)

الآن أدخن بحرية، سيجارتي أطول من الشريط الحدودي في الشمال السوري، أسئلة كثيرة تدورُ في رأسي، لا مُقدمةٍ لِقَضِيَّتِي، فالحقيقة مُرَّةٌ بِجلاوتها وسوريا جميلة بِمِرارها. لا أريد أن أعُدَّ لكم كم سيجارةً بقيت في علبة سجائري، ولا أريد أن أعرف كم ضيفاً زارني اليوم، أريد أن أعرف كيف دخل العرب إلى مناطقنا الكُردية، إذا كان أبي ولد في الجمهورية العربية وحرموهُ مِنَ الجِنْسِيَّةِ السوريَّة.

الآن أنا سيّد هذا القرار ولا أريد أن أرى علبة سجائري فارغة، كما لا أريد أن أتابع نشرة أخبار مملّة تجرّد من بقي منّا نحن السوريين، أريد أن أعرف كيف تمَّ تفرِغ قمرانا، أريد أن أعرف كم شخصاً من عائلتي هاجرَ بِطريقةٍ غير شرعيةٍ ولم يَعدُ إلينا، أريد أن أعرف أيضاً كم منهم ماتَ غَرْقاً قباله سواحل اليونان، أريد أن أعرف ما هي الجِنْسِيَّةِ التي يَحْمِلها أولادهم الآن، وهل سيعودون إلينا يوماً، أريد أن أوضح للعالم أجمع قبل أن تنتهي سيجارتي ماذا فعل النظام السوري بنا، كي لا يقارنوا اضطهادهم باضطهادنا ومعاناتهم بمعاناتنا، أريد أن أتحدث عن الداء الذي أصابنا والسرطان الذي سَكَننا والبُعث الذي حَكَمنا أكثر من أربعة عقود، وهو حاطط رجل على رجل، متخذاً من البلاد تلفازاً ومن نفسه جهاز تحكّم عن بعد وهو يغيّر ديمغرافية المدن السوريَّة وكأنه يقلّب بين قنوات التلفاز.

ريشة بحر الشيخ

يولد في هذي اللحظة صوت الصمت
لا ترهبه قرعة بندق كل الموتورين
لا تشبه الأصوات المفجعة
اغرس خنجرك الموتور بروحي أكثر
فعندي بنتان
تتعلمان الآن بصمتٍ مزج الألوان
لوحة وطني في المستقبل أجمل
وافقاً بأصابع حقدك عيني
إني لن أنظر إلا للأفق المرسوم بريشة بنتي

يلزمني كي أعتق من نار الوجد
طن حشيش
أو صور دمشق
فيها بردى يتسلل عبر الحلم..

اخلع خنجرك المغروس بصوتي
فهذي بلادي
أردت قبل قتلي أن أبكيها
يا من بطول الحرب تدق الموت بلا جدوى
لن يبقى في لغتي إلا حرفان اثنان
الحرف الأول منسوج من دود القز حبراً شامياً
والحرف الثاني معتصرٌ بدنان كنائس عشاق بنفسجة
تنمو في قلعة حلب
أغمد إن شئت الخنجر في روحي
فيدي لازالت تكتب فوق البحر
تلك سماء العشاق الحرة
يا سيدة الأكوان.. ويا وطن العشاق
سوريا
في زر الورد المتروك على أسوار دمشق

هوا سهارت

دهشقق . حوص . حواه

103.2

حطب . ادلب . اللاذقية

99.6

راديو الكل

العاصمة أون لاين

من الساعة

12 ظهراً - 12 مساءً





عبد
القادر
الصالح
شعيد سوريا

